

غزوة «التوابل.. والمسيح».. وغواية الأقليات

فى ١٧ جمادى الثانى سنة ٦٩٠هـ - ١٧ يونية سنة ١٢٩١م- انتصر الملك الأشرف خليل بن قلاوون [٦٦٦ - ٦٩٣ هـ ١٢٦٨ - ١٢٩٣م] على الصليبيين فى «عكا».. وبسقوط هذا الحصن أزيلت كل آثار الحروب الصليبية -التي مثلت حربا عالمية غربية على الشرق الإسلامى.. والتي كانت أطول الحروب العالمية، إذ امتدت على مدى قرنين من الزمان [٤٨٩ - ٦٩٠ هـ ١٠٩٦ - ١٢٩١م]!!^(١).

نعم.. لقد استعاد الشرق الإسلامى حريته، بعد هزيمة الحملات الصليبية، التى قادتها الكنيسة الكاثوليكية - متحالفة مع فرسان الإقطاع الأوربيين.. ومع البرجوازية التجارية الأوربية -.. وهى الحرب التى صنع فيها الصليبيون الصورة الزائفة والغريبة والعجيبة للإسلام ورموزه ومقدساته وللمسلمين وحضارتهم، مكونين -بهذه الصورة- الرصيد والمخزون لثقافة الكراهية السوداء، التى استكثت فى أعماق المخيال الغربى -فى ملاحم الأدب الشعبى.. ومواعظ اللاهوت الكنسى.. والكتب المدرسية والثقافية.. والمعاجم والموسوعات-.. والتى تستمد منها مؤسسات الهيمنة الغربية - السياسية والدينية- عند اللزوم، المزيد والمزيد من الأكاذيب، لتحشد بها الجماهير والدهماء والغوغاء فى صراعتها التاريخى وطعمها القديم وغزوها المتكرر لعالم الإسلام..

ولقد تم هذا الطمع الغربى فى الشرق، ولتجذره، فإن فشل الحملات الصليبية على المشرق الإسلامى، لم يمهله هذا الصراع.. وإنما انتقل به إلى جبهة الغرب.. إلى الأندلس.. التى كانت أنوار حضارتها الإسلامية تزعج الظلمات الدامسة التى أدخلت الكنيسة أوربا فى غياهبها!.. فشددت الصليبية الكاثوليكية ضغوطها الحربية على

(١) لقد وقفنا - تبعا لموضوع الدراسة- عند الحملات الصليبية على الشرق الإسلامى.. لكن الحملات الصليبية قد امتدت لتشمل بلادا إسلامية خارج «خارطة» الشرق الإسلامى.. لذلك وحتى يرى القارئ العدد والمجال الجغرافى لهذه الحملات الصليبية -سنقدم- فى نهاية هذه الدراسة جدولا شاملا لجميع هذه الحملات.

الأندلس المسلمة، حتى أسقطت آخر معاقلها -غرناطة- فى ربيع الأول سنة ٨٩٧هـ - يناير سنة ١٤٩٢م ..

ولقد نقض الملوك الصليبيون المنتصرون -«فرديناند» [١٤٧٩ - ١٥١٦م] و«إيزابيلا» [١٤٧٤ - ١٥٠٤م] - عهود الأمان التى قطعوها لمسلمى الأندلس .. وأعملوا فيهم سيوف الإبادة ومحارق محاكم التفتيش، حتى لقد أصبح الخيار محصورا بين القتل وبين التنصير! ..

وما هى إلا شهور قليلة، بعد إسقاط غرناطة فى يناير سنة ١٤٩٢م، حتى بدأت محاولات الغزو الصليبي للشرق الإسلامى من جديد! ..

لقد أسقطت آخر قلاع الصليبيين فى الشرق الإسلامى -حصن عكا- فى ١٧ ربيع الأول سنة ٨٩٧هـ - ١٧ يونية سنة ١٢٩١م -.. لتبدأ بعد قرنين من هذا التاريخ- فى أغسطس سنة ١٤٩٢م- الموجة الثالثة من الغزو الغربى للشرق -وهى الموجة المستمرة حتى هذه اللحظات ..

● كانت الموجة الأولى عشرة قرون قبل ظهور الإسلام .. بدأت «بالإسكندر الأكبر» [٣٥٦ - ٣٢٤ ق.م] فى القرن الرابع قبل الميلاد- واستمرت حتى «هرقل» [٦١٠ - ٦٤١م]- فى القرن السابع للميلاد ..

● وكانت الموجة الثانية قرنين من الزمان، هما عمر الحملات الصليبية على الشرق الإسلامى ..

● وبعد إسقاط غرناطة -فى يناير سنة ١٤٩٢م- بدأت الموجة الثالثة للغزو الغربى للشرق الإسلامى .. وهى التى تجاوز عمرها الآن خمسة قرون .. والتى أكملت عمر الغزو الغربى للشرق سبعة عشر قرنا من أربعة وعشرين قرنا، هى عمر التاريخ المكتوب لهذا الصراع! ..!

● ففى شوال سنة ٨٩٧هـ - أغسطس سنة ١٤٩٢م خرج «كريستوفر كولبس» [١٤٥١ - ١٥٠٦م] - الذى ندرسه لأبنائنا فى المدارس والجامعات باعتباره مكتشفا جغرافيا عظيما! -.. خرج يريد الالتفاف حول العالم الإسلامى، باحثا عن الذهب فى جزر الهند الشرقية، لتمويل الغزوة الصليبية الجديدة، التى تريد احتلال القدس والشرق الإسلامى من جديد ..

ولقد كتب «كولبس» عن عزمه هذا إلى «سيديه الأكثر تدينا» الملك الصليبي «فرديناند» وشريكته الملكة «إيزابيلا» - كما جاء في يومياته بتاريخ ٢٦ ديسمبر سنة ١٤٩٢م - فقال:

«إن هدفه هو العثور على الذهب بكميات كبيرة، حتى يتسنى للملكين أن يفتحوا الديار المقدسة خلال ثلاث سنوات. فقد أعلنتُ لسموكم أن كل المغنم التي سيدرهما مشروعي هذا سوف تنفق على فتح القدس. وقد ابتسمتما - يا صاحبي الجلالة.. وقلتما: إن ذلك يسركما»^(١).

● ولما ضل «كولبس» طريقة في البحر، فذهب إلى أمريكا - بدلا من الالتفاف حول العالم الإسلامي - أخذ في جمع الذهب، لتحقيق ذات الهدف الصليبي - إعادة اغتصاب القدس واحتلال الشرق الإسلامي - . . وكتب عن ذلك إلى الملك «فرديناند» والملكة «إيزابيلا» . . فقال:

«صاحبي السمو، الأكثر تدينا، والأعلى مرتبة..

إن فهمي وإدراكي لمسألة استرداد الضريح المقدس بمدينة القدس لصالح الكنيسة المقدسة عسكريا، سوف أقوم بتوضيحه فيما يلي..

لقد مكثت سبعة أعوام في بلاطكم الملكي، مناقشا الأمر مع العديد من الرجال.. إن ما حدث هو الذي سبق أن قال به يسوع المسيح المخلص، وذكره من قبل عبر رسالة المقدسين، ولهذا فيجب علينا أن نؤمن بأن أمر القيام بحملة صليبية لاستعادة مدينة القدس، لهو أمر سوف يتحقق بالفعل..

لقد قلت إنني سوف أتحدث عن فهمي وإدراكي لمسألة استعادة الضريح المقدس بمدينة القدس إلى أحضان الكنيسة الكاثوليكية..

ولتشجيع سموكم على القيام بالحملة الأخرى، المتعلقة باسترداد مدينة القدس، عبر الرجوع إلى الآيات النبؤية بالكتاب المقدس. وما دام توافر لدى جلالكم الإيمان الصادق، فلتكونوا واثقين من إحراز النصر في مسألة استعادة الضريح المقدس ومدينة القدس..

(١) أحمد عبد المعطى حجازي - مقال «أول إسرائيل آخر أمريكا» صحيفة [الأهرام] في ٢٨-٤-٢٠٠٤م.

يجب على أى شخص ألا يخشى القيام بأى أمر يتم تحت اسم مخلصنا وبرعايته ما دام العزم قويا، خاصة أن ذلك الأمر لهو أمر عادل، ويتم من أجل خدمة الرب المقدس.. ولا بد أن جلالكم تذكرون أنكم شرعتم فى حربكم مع مملكة غرناطة المسلمة، دون أن تكون لديكم أموال وفيرة.

إن هناك أمورا عظيمة فى هذا العالم، وإن هناك إشارات وعلامات بأن ربنا يدفعنا للقيام بتحقيقها، كالتبشير بالإنجيل فى أراض كثيرة ومتعددة فى وقت زمنى قصير.. ولقد ذكر الكاردينال «بيير» الكثير عن نهاية المسلمين، كما أن الأب «يواقيم الفيورى» قد ذكر أن الشخص الذى سيقوم بإعادة بناء الضريح المقدس للمسيح، فوق جبل صهيون، بالقدس سوف يخرج من إسبانيا»^(١).

كما كتب «كولبس» - هذا الذى لازلنا ندرسه لأبنائنا باعتباره «المكتشف الجغرافى العظيم»! - كتب إلى البابا «إسكندر السادس» [١٤٩١ - ١٥٠٣م] - فى سنة ٩٠٨هـ - سنة ١٥٠٣م - يقول:

«لقد اضطلعت بهذه المهمة - [الرحلات إلى أرض الذهب فى أمريكا] للتفق ما سوف نكسبه منها فى رد الديار المقدسة.

وبعد أن ذهبت إلى هناك، ورأيت الأرض، كتبت إلى الملك وإلى الملكة سيدى، إنه منذ ذلك اليوم، وعلى مدار سبع سنوات سوف أحتاج إلى خمسين ألفا من الجنود المشاة وخمسة آلاف فارس، لفتح الديار المقدسة»^(٢).

● وإذا كان «كولبس» - الذى أبحر فى أغسطس سنة ١٤٩٢م، قاصدا الالتفاف حول العالم الإسلامى، تمهيدا لإعادة احتلال القدس والشرق الإسلامى - إذا كان قد ضل طريقه، وذهب إلى أمريكا - وجمع الذهب من هناك لتحقيق ذات الهدف الصليبي.. - فإن «فاسكودى جاما» [١٤٦٩ - ١٥٢٤م] قد قاد حملته الصليبية سنة ١٤٩٧م - أى بعد إسقاط غرناطة بخمس سنوات - رافعا شعار: «التوابل والمسيح»!!.. فطاف حول إفريقيا - مارا برأس الرجاء الصالح سنة ١٤٩٧م -.. ثم

(١) دكتور حاتم الطحاوى «وثيقة نادرة: بعد غرناطة جاء دور القدس» - مجلة [العربى] - الكويت - العدد ٥٣٢ - مارس سنة ٢٠٠٣م - ص ٦٢، ٦٧.

(٢) [الأهرام] مقال أحمد عبد المعطى حجازى «أول إسرائيل آخر أمريكا» - مرجع سابق -.

ذهب إلى شواطئ الهند الإسلامية، ليحارب المسلمين، ولقد دارت بين هذه الحملة البرتغالية وبين الجيش المصرى- الذى خرج من ميناء السويس سنة ٩١٠هـ سنة ١٥٠٤م إلى الهند للدفاع عنها ضد البرتغاليين- دارت الحرب هناك.. حيث انهزم الجيش المصرى أمام البرتغاليين..

ثم توالى معارك الصليبيين البرتغال مع المسلمين، على شواطئ الهند.. والفيلين التى قتل فيها «ماجلان» [١٤٨٠ - ١٥٢١م] وهو يقاتل المسلمين على شواطئها سنة ١٥٢١م.. ليتم -بعد ذلك- تنصير الفلبين، ولتتحول عاصمتها إلى «مانىلا».. بعد أن كان اسمها «أمان الله»!!..

لقد كان شعار البرتغاليين -الذين مثلوا طلائع الغزوة الصليبية الحديثة-: «التوابل والمسيح»!!..

وفى تحقيق الشق الأول من هذا الشعار، قاموا بتحويل التجارة الدولية عن طرقها الإسلامية، إلى طريق رأس الرجاء الصالح.. فأصابوا العالم الإسلامى بكساد اقتصادى شديد..

وفى تحقيق الشق الثانى من الشعار، أعملوا سيوف التنصير فى البقاع الإسلامية بشرقى آسيا..

وظلت ثقافتنا المغشوشة - حتى الآن - تدرّس لأبنائنا «فاسكودى جاما» و«ماجلان» و«كولبس» باعتبارهم من عظماء المكتشفين الجغرافيين!!..



● فلما حان حين الغزو الغربى لقلب العالم الإسلامى - الوطن العربى - قام بذلك «بونابرت» [١٧٦٩ - ١٨٢١م] وحملته الفرنسية على مصر [١٢١٣هـ - ١٧٩٨م].. وفيها أباد (سُجّع) الشعب المصرى - ٣٠٠,٠٠٠ من شعب كان تعداده يومئذ أقل من ثلاثة ملايين!!..-

وألقى بحبال الغواية والخيانة إلى الأقلية الأرثوذكسية وإلى النصارى الشوام والأروام بمصر - فانضم «المعلم يعقوب حنا» [١٧٤٥ - ١٨٠١م] - الذى يسميه

الجبرتى [١١٦٧ - ١٢٣٧ هـ - ١٧٥٤ - ١٨٢٢ م]: «يعقوب اللعين»!.. انضم مع فيلق من شباب الأقباط الأرثوذكس بلغ تعدادهم ألفين إلى جيش الحملة الفرنسية، مشاركين في فتح المدن والقرى، وفي أعمال سيوف القتل والنهب والتعذيب في الشعب المصري.. وحتى في علماء الأزهر الشريف!..

لقد أعلن بونابرت -وهو في الطريق من مارسيليا إلى الإسكندرية- عزمه على تجنيد ٢٠,٠٠٠ (عشرين ألفا من أبناء الأقليات) لاستخدامهم في إقامة إمبراطوريته الشرقية.. ولقد نجح -أول ما نجح- مع الأقلية النصرانية في مصر.. - فانضم المعلم يعقوب -بفيلقه القبطي- إلى القائد الفرنسي «ديزيه» وشاركه في «فتح صعيد مصر»!.. وتزيا -هو وفيلقه القبطي- بزي الجيش الفرنسي!..

- وأعطى بونابرت الأقليات غير المسلمة - والتي لا تتعدى نسبتها العددية لمجموع السكان ٥٪ - أعطائها نصف عضوية «الديوان العام والخاص» خمسة من علماء الأزهر، واثان من التجار المسلمين، وسبعة من الأقليات النصرانية- وعندما يضاف إليهم الأعضاء الفرنسيون يصبح المسلمون أقلية ضئيلة العدد والتأثير في هذا الديوان!..

- ومنح الجنرال «كليب» [١٧٥٣ - ١٨٠٠ م]- الذي خلف «بونابرت» في قيادة الحملة- المعلم يعقوب رتبة «كولونيل» في الجيش الفرنسي.. فلما جاء الجنرال «مينو» قائدا للحملة، منح المعلم يعقوب رتبة «جنرال» في مارس سنة ١٨٠١ م!..

- وكون «برطلمين بنى الرومى» هو الآخر فيلقا من النصارى الأروام، انضم به إلى جيش الحملة الفرنسية!..

- ولأن النصارى كانت بيدهم سجلات الأموال، ولولا أنهم وانضمامهم للحملة الفرنسية، اختصتهم الحملة بالجهاز المالى الإدارى لمصر إبان الاحتلال الفرنسى.. وكتب «بونابرت» إلى حاكم الشرقية، الضابط الفرنسى «رينيه» رسالة في ١٠ سبتمبر سنة ١٧٩٨ م -أى بعد شهرين من الغزو- يصف الأقباط بـ «أنهم لثام في البلاد، ولكن ينبغى مراعاتهم لأنهم الوحيدون الذين في

يدهم مجمل الإدارة للبلاد. لقد حصلت منهم على سجلات هائلة حول قيمة الضرائب المفروضة! واستعان الفرنسيون بالصيارف والكتبة الأقباط في «ربط» الأموال الكثيرة على الفلاحين المصريين! .. -أى أن الخيانة قد حدثت وتمت فور بدء الغزوة الفرنسية! ..

- ومارست هذه الأقلية -الخائنة لأمتها وحضارتها- الاستعلاء على المسلمين المصريين - الذين يمثلون ٩٥٪ من السكان- وذلك استنادا إلى حراب الغزاة الفرنسيين. .. ووصف الجبرتى ذلك، فقال:

«لقد ترفع أسافل النصارى من القبط والشوام والأروام واليهود، فركبوا الخيول، وتقلدوا السيوف بسبب خدمتهم للفرنسيين، ومشوا بالخيول، وتلفظوا بفاحش القول، واستذلوا المسلمين، مع عدم اعتبارهم للدين، إلى غير ذلك مما لا يحيط به الحساب، ولا يسّطر في كتاب، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم!»

- بل لقد احتفلت هذه الأقلية الخائنة -علنا- بانتصارات بونايرت على المسلمين فى معركة «غزة» سنة ١٢١٣هـ سنة ١٧٩٩م. .. وكتب الجبرتى -مؤرخ العصر- عن ذلك فقال:

«.. وأظهر النصارى الفرح والسرور، فى الأسواق والدور، وأولموا فى بيوتهم الولائم، وغيروا الملابس والعمائم، وتجمعوا للهو والخلاعة، وزادوا فى الشناعة!»

- بل إن الجنرال كليبر [١٧٥٣ - ١٨٠٠م] - الذى خلف نابليون فى قيادة الحملة- قد أطلق العنان لهذه الأقلية الخائنة فى ازدراء الإسلام، والإعلان عن ذهاب ملته ودولته!! ووصف الجبرتى ذلك فقال:

إن كليبر عهد إلى المعلم يعقوب حنا «بأن يفعل بالمسلمين ما يشاء!.. فتناولت النصارى، من القبط ونصارى الشوام، على المسلمين بالسب والضرب، ونالوا منهم أغراضهم، وأظهروا حقدهم، ولم يبقوا للصالح مكانا! وصرخوا بانقضاء ملة المسلمين وأيام الموحدين»!! ..

- ومثلت هذه الأقلية الخائنة طلائع الاختراق الفرنسى لمنظومة القيم الأخلاقية - التى لا تختلف فى النصرانية عنها فى الإسلام-! فكانت طليعة «السفور»

و«الخلاعة» وإشاعة المسكرات.. وممارسة الرقص والغناء والسكر والهزل والمجون مع الفرنسيين والفرنسيات في مراكز النيل بالليل والنهار!..^(١)

● وحتى بعد فشل الحملة العسكرية الفرنسية، ظلت هذه الأقلية الخائنة متعلقة بحبال عزل مصر عن تاريخها الإسلامى، وعن محيطها العربى والإسلامى، وإلحاقها بالغرب الأوروبى:

- فالمعلم يعقوب أوصى بإلحاق مصر بالجلترا.. فكتب -قبل هلاكه- إلى وزير الحرب البريطانى -طالباً «أن تخضع مصر المستقلة لنفوذ بريطانيا.. وأن تستأثر بريطانيا بتجارة مصر الخارجية.. فمصر المستقلة لن تكون إلا موالية لبريطانيا.. وأن المصريين -الذين وصفهم بالمسلمين الجهلاء!- يمكنهم أن يعتمدوا على قوات أجنبية تعمل لحسابهم يتراوح عددها بين ١٢,٠٠٠ و ١٥,٠٠٠ تحرس استقلالهم عن محيطهم العربى والإسلامى»!!^(٢)

فوصية «يعقوب - اللعين» - التى يصفها أحفاده بأنها أول إعلان لاستقلال مصر!- تطلب استقلال مصر عن ذاتها الحضارية، وتاريخها الإسلامى، ومحيطها القومى والحضارى، وتدعو لإلحاقها بالنفوذ الإنجليزى، لتكون موالية لبريطانيا، التى تستأثر بتجاريتها الخارجية!.. وأن تفرض هذا الاستقلال قوات أجنبية، يدفع نفقاتها المصريون المسلمون الجهلاء!- كما جاء فى وصية الجنرال «يعقوب - اللعين»!..

- أما أبناء الجنرال «يعقوب - اللعين» - الذين خرجوا -معه- من مصر، فى ركاب جيوش الحملة الفرنسية المهزومة سنة ١٨٠١م.. فلقد ظلوا على ولائهم

(١) انظر - فى وقائع هذه الحقائق- الجبرتى [عجائب الآثار] ج٥ ص ٤، ١٣٤، ١٣٦، ١٤٨، ١٤٩ تحقيق حسن محمد جوهر، عمر الدسوقي، السيد إبراهيم سالم - طبعة القاهرة سنة ١٩٦٥م. و[مظهر التدريس بزوال دولة الفرنسيين] ص ١/٢، ١١٧ - تحقيق: حسن جوهر، عمر الدسوقي. طبعة القاهرة سنة ١٩٦٩م. وصحيفة [وطنى]- مقال عادل جندى «المخططات الخطيرة» عدد ٢-٧-٢٠٠٦م. وانظر كتابنا [الحملة الفرنسية فى الميزان] طبعة نهضة مصر- القاهرة سنة ١٩٩٨م. وعلى مبارك باشا [علم الدين] ج٣ ص ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩١ طبعة الإسكندرية سنة ١٨٨١م.

(٢) دكتور أحمد حسين الصاوى [المعلم يعقوب بين الحقيقة والأسطورة] ص ١٢٣ - ١٢٥ - ملحق رقم (٦) - طبعة القاهرة سنة ١٩٨٦م.

لبونابرت وفرنسا الاستعمارية . . فتوجهوا إلى «مرسيليا» - باسم «الوفد المصرى» - أى الذى لا هو عربى ولا إسلامى! - يقودهم «نمر أفندى» . . وكتبوا إلى بونابرت التماس التبعية الحضارية، إذ عرضوا عليه العمل على إحلال القانون الفرنسى محل الشريعة الإسلامية فى مصر.. فبعد حديثهم عن «الولاء لبونابرت» تعهدوا «بالتشريع لمصر التشريعات التى ترضى عنها فرنسا»! . . وقالوا لبونابرت: «إن الوفد المصرى» الذى فوضه المصريون الباقون على ولائهم لك، سيشرع لمصر ما ترضاه لها من نظم عندما يعود إليها من فرنسا»! (١).

- كذلك كتب أبناء الجنرال «يعقوب اللعين» إلى وزير الخارجية الفرنسية «تاليران» [١٧٥٤ - ١٨٣٨م] يعرضون عليه تسخير الكنيسة الأرثوذكسية المصرية - ذات الامتدادات فى إفريقيا- لتحقيق حلم الملك الفرنسى لويس الرابع عشر [١٦٣٨ - ١٧١٥م] اختراق الكنيسة الكاثوليكية لإفريقيا! . . وقالوا -فى عرضهم هذا-: «إن الجمهورية الفرنسية اليوم.. إذا أرادت، يمكنها عن طريق الأمة المصرية، التى ستكون موالية لها، مد نفوذها نحو أواسط إفريقيا.. وبذلك تحقق ما عجزت عن تحقيقه الملكية»! (٢).

هكذا صنعت الغواية الاستعمارية بهذه الأقلية الخائنة، التى سعت لبيع مصر فى سوق النخاسة الاستعمارية . . فعرض الجنرال «يعقوب- اللعين» إلحاق مصر بإنجلترا. . وعرض أبناؤه الذين خرجوا معه فى ركاب القوات الفرنسية الغازية - «التشريع لمصر ما ترضاه فرنسا من النظم والقوانين» وتسخير مصر وكنيستها لتحقيق الاختراق الفرنسى -الدينى . . والسياسى- لإفريقيا! .



وإذا كانت هزيمة المشروع البونابرتى . . ثم هزيمة الحملة الإنجليزية على رشيد [١٢٢٢هـ - ١٨٠٧م] قد طوت هذه الصفحة السوداء من صفحات الغواية

(١) دكتور أحمد حسين الصاوى [المعلم يعقوب بين الحقيقة والخيال] ص ١٢٩، ١٣٠ - ملحق رقم (٧).

(٢) المصدر السابق. ص ١٣١، ١٣٢ - ملحق رقم (٨) - وتاريخ هذه المذكرة ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٠١م - ١٥ جمادى الأولى سنة ١٢١٦هـ -.

والخيانة.. فإن أحفاد المعلم «يعقوب - اللعين» قد انتهزوا فرصة استعمار إنجلترا لمصر -بعد هزيمة الثورة العرابية- سنة ١٨٨٢م.. وتحقيق أحلام «نمر أفندي» و«وفده المصرى»! فى فرض القانون الفرنسى على مصر سنة ١٨٨٣م.. فسعوا إلى السير فى طريق تجريد مصر من هويتها العربية الإسلامية، وذلك بنقلها -تدرجيا- من «الإسلامية» إلى «المصرية» ثم إلى «القبطية»!.. مستعينين على ذلك بالاستعمار الإنجليزي -الذى منحوه ولاءهم- وبأوربا الصليبية التى ناصبت مصر الإسلامية العداء عبر تاريخها الطويل..

وعندما عقد أحفاد «يعقوب - اللعين» مؤتمرهم القبطى - بأسيوط - سنة ١٩١١م.. كتب الشيخ رشيد رضا [١٢٨٢ - ١٣٥٤ هـ - ١٨٦٥ - ١٩٣٥م] -الذى انعقدت له الريادة واليقظة فى التصدى «للعلمانية».. و«الصهيونية».. و«القبطية» - فقال:

«إنهم يتحدثون عن ما يسمونه المسألة القبطية فى مصر.. بل والثورة القبطية!.. ويريدون أن لا يذكر اسم الإسلام والإسلامية فى أمور الحكومة ولا غيرها من المصالح العامة.. ويعبرون عن أنفسهم بالأمة القبطية، ويسمون البلاد المصرية بلادهم وبلاد آبائهم وأجدادهم..

والمشهور أن نسبة القبط إلى المسلمين فى هذا القطر هى نسبة من خمسة إلى ستة فى المائة.. وهم يمتلكون ثلاثين فى المائة من ثروة البلاد.. ومعظم أعمال الحكومة المصرية ومصالحها فى أيدي القبط.. وهذا هو الذى أطمعهم فى جعل حكومة مصر قبطية محضة فى يوم من الأيام..

ولقد أجمع القبط على تأييد الاحتلال.. وألفوا مؤتمرا قبطيا عاما فى أسيوط - التى سماها بعضهم (عاصمة القبط)..

وهم يستجدون جرائد أوربا وقساوستها ليلزموا الدولة الإنكليزية أن تنصر الفئة القليلة، لأنها مسيحية، على الفئة الكثيرة الإسلامية.. وقد وعدهم بعض القسيسين والسياسيين ليتفذن لهم ذلك..

ولقد طفقوا يطعنون فى جرائدهم طعنا صريحا فى سلف المسلمين وخلفهم، ودينهم وآدابهم ولغتهم..

إن المسيحية قد فصلت الحكومة من الدين، وأمرت أن يعطى ما لقيصر لقيصر وما لله لله، والإسلام ذو شريعة وسياسة. فما بال الذين يأمرهم دينهم بالخضوع لكل حاكم: وإن كان وثنيا كقيصر الروم فى زمن المسيح -عليه السلام- قد أصيبوا بهذا الشره فى السياسة؟!

إنه لا يضر من يشارك المسلمين فى الخضوع لشريعتهم إن كانوا يدينون لله بهذا الخضوع وهو لا يدين لله به، فإن حقوقهم على المسلمين -المكفولة لهم بالشريعة الإسلامية- تكون حينئذ مضمونة بقوة الحكومة فى الظاهر، وقوة الاعتقاد فى النفس، وحقوقهم عليه لا تكون مضمونة إلا فى الظاهر فقط، فالمسلم المتدين لا يأكل حق غيره وإن أمن عقاب الحكومة، وغير المسلم قد يأكل حق المسلم المحكوم به إذا أمن العقاب، لأن وجدانه لا يعارضه فى ذلك إذا اعتقد أن الحكم لا يجب الخضوع له.

ولقد كان من مقاصد بطرس غالى باشا [١٢٦٢ - ١٣٢٨ هـ - ١٨٤٦ - ١٩١٠ م] التمهيد لإلغاء المحاكم الشرعية، وجعل الحكم فى الأمور الشخصية من خصائص المحاكم الأهلية، لأن طلبة الحقوق يتعلمون الفقه الإسلامى، فهو يريد أن يتعود المسلمون بالتدريج حكم لابسى الطرايش فى القضايا الشرعية، حتى لا يبقى للمسلمين فى الحكومة المصرية شىء من الشخصيات المالية..

ولقد أراد القبط أن لا يذكر اسم الإسلام والإسلامية فى أمور الحكومة ولا غيرها من المصالح العامة.. ليكون الانتقال من إسلامية إلى «مصرية» مدرجة إلى الانتقال من «مصرية» إلى «قبطية»..

ولقد علمنا بالقياس المطرد المنعكس:

أن القبط، وهم شريحة قليلة -من خمسة إلى ستة فى المائة- والذين يملكون ٣٠٪ من ثروة البلاد -لا يأخذون شيئاً إلا ويطلبون ما بعده، فلا يجاب طلب إلا ويعقبه طلب، ولا ينتهى أرب إلا إلى أرب، ولا يقنع هذه الفئة القليلة العدد، الكثيرة النشاط، الكبيرة الطمع، إلا أن يكون الحكم والنفوذ فى هذه البلاد خالصاً لهم من دون المسلمين!^(١)

(١) رشيد رضا: [المنار] ج٢ مجلد ١٤ ص ١٠٨ - ١١٤، ١٥٩، ١٦٠ - عدد ٣٠ صفر سنة ١٣٢٩ هـ - أول مارس سنة ١٩١١ م - وج٣ مجلد ١٤ ص ٢٠٢ - ٢٢٦ - عدد ٢٩ ربيع الأول سنة ١٣٢٩ هـ - ٣٠ مارس سنة ١٩١١ م.

هكذا شخص رشيد رضا مشروع أحفاد المعلم «يعقوب اللعين» فى تجريد مصر من هويتها العربية الإسلامية، وعزلها عن محيطها العربى الإسلامى، وإقامة القطيعة بين حاضرها ومستقبلها وبين تاريخها، والتكرار لرسالتها الإسلامية فى عالم الحضارة الإسلامية..



ولقد جاءت ثورة مصر الكبرى سنة ١٩١٩م لتدفع بهذا «المشروع القبطى» إلى الوراء.. ولتداوى الكثير من الجراح التى أشار إليها الشيخ رشيد رضا.. وأسهمت المواقف الوطنية لزعماء من أمثال مكرم عبيد باشا [١٣٠٦ - ١٣٨٠هـ - ١٨٨٩ - ١٩٦١م] الذى دعا الأقباط إلى الانتماء الكامل للحضارة العربية الإسلامية.. وقال:

«نحن مسلمون وطناء، ونصارى ديناء.. اللهم اجعلنا نحن المسلمين لك، وللوطن أنصارا، واللهم اجعلنا نحن نصارى لك، وللوطن مسلمين»^(١)

والذى كتب سنة ١٩٣٩م - أى قبل قيام جامعة الدول العربية سنة ١٩٤٥م - يقول: «المصريون عرب.. وتاريخ العرب سلسلة متصلة الحلقات، لا، بل هو شبكة محكمة العقد.. ورابطة اللغة، والثقافة العربية، والتسامح الدينى، هى الوشائج التى لم تفصمها الحدود الجغرافية، ولم تنل منها المطامع السياسية منالا، على الرغم من وسائلها التى تتذرع بها إلى قطع العلاقات بين البلاد العربية واضطهاد العاملين لتحقيق الوحدة العربية التى لا ريب فى أنها أعظم الأركان التى يجب أن تقوم عليها النهضة الحديثة فى الشرق العربى.

وأبناء العروبة فى حاجة إلى أن يؤمنوا بعروبتهم وبما فيها من عناصر قوية استطاعت أن تبني حضارة زاهرة.

نحن عرب، ويجب أن نذكر فى هذا العصر دائما أننا عرب، وحدث بيننا الآلام والآمال، ووثقت روابطنا الكوارث والأشجان، وصهرتنا المظالم وخطوب الزمان.

نحن عرب من هذه الناحية، ومن ناحية تاريخ الحضارة العربية فى مصر، وامتداد أصلنا السامى القديم إلى الأصل السامى الذى هاجر إلى بلادنا من الجزيرة العربية.

(١) صحيفة [الوفد] - عدد ٢١ - ١ - ١٩٩٣م.

فالوحدة العربية حقيقة قائمة موجودة لكنها فى حاجة إلى تنظيم، فتصير كتلة واحدة، وتصير أوطاننا جامعة وطنية واحدة»^(١)

هكذا دفعت ثورة سنة ١٩١٩م بأصوات العقل والحكمة، التى أعلنت وأكدت على الانتماء للحضارة العربية الإسلامية، وعلى أن العروبة هى حقيقة حضارية وثقافية ولغوية وتاريخية. . وأن السعى لآبد أن يكون نحو إقامة كتلة عربية لأبناء الشرق العربى تحقق «جامعة وطنية واحدة».



لكن الأصوات والاتجاهات الطائفية الانعزالية العنصرية، الساعية إلى إقامة القطيعة مع الانتماء الحضارى العربى والإسلامى، ومع الشرق العربى والمحيط الإسلامى. . هذه الأصوات والنزعات، وإن انزوت بفعل الوعى الوطنى الذى ولدته ثورة سنة ١٩١٩م. . إلا أنها ظلت مستكنة فى بعض الدوائر تتحين الفرصة للصعود من جديد. .

● ولقد كان نجاح الإمبريالية الصليبية والصهيونية اليهودية فى إقامة الكيان الصهيونى على أرض فلسطين سنة ١٩٤٨م الفرصة التى دفعت بهذه النزعات الطائفية والعنصرية والانعزالية إلى الصعود من جديد. .

فالمشروع الصهيونى قد نجح فى تغيير «الخرائط» و«الهويات». . وهو قد حقق غواية بونابرت عندما دعا الأقليات اليهودية -من على أسوار عكا- سنة ١٧٩٩م. . لتتعاون مع الإمبريالية الغربية لقاء إعادة زرعها فى فلسطين. .

لقد أصدر بونابرت نداءه الشهير إلى يهود العالم، قائلاً:

«أيها الشعب الفريد!.. إن فرنسا تقدم لكم يدها الآن، حاملة إرث إسرائيل. إن الجيش الذى أرسلتنى العناية الإلهية به، قد اختار القدس مقراً لقيادته، وخلال بضعة أيام سيتنقل إلى دمشق، التى استهانت طويلاً بمدينة داود وأذلته!..

(١) مكرم عبيد: مجلة [الهلال] عدد إبريل سنة ١٩٣٩م.

يا ورثة فلسطين الشرعيين: إن الأمة الفرنسية.. تدعوكم إلى إرثكم، بضمانها وتأييدها ضد كل الدخلاء! ^(١)

ولقد تبنت الإمبريالية الإنجليزية.. ثم الأمريكية تحقيق غواية بونابرت للجماعات اليهودية.. وها هو قد قام الحلم الصهيوني العنصرى على أرض فلسطين.. فلم لا تنبعث الآمال لدى أحفاد المعلم «يعقوب اللعين» من جديد؟!.. بل ولدى كل أصحاب النزعات الطائفية والعنصرية والانعزالية، التى تريد تفتيت وطن العروبة وعالم الإسلام؟!..

ولأن الكيان الصهيونى هو قطرة فى محيط العرب والمسلمين، فلقد راهنت الصهيونية -ومعها الإمبريالية الصليبية- على تفتيت العالم العربى والمحيط الإسلامى أكثر فأكثر حتى يتحقق التفوق والأمن الاستراتيجى لإسرائيل..

لقد كتب المستشرق الصهيونى «برنارد لويس» معالم هذا المخطط -إبان إقامة إسرائيل- ونشره فى مجلة وزارة الدفاع الأمريكية -البتاجون-.. ودعا فيه إلى إنشاء اثنين وثلاثين كيانا سياسيا جديدا فى الشرق الإسلامى -على أسس دينية.. ومذهبية.. وعرقية - «إثنية»-.. دعا إلى تقسيم العراق إلى ثلاث دول: كردية.. وشيعية.. وسنية.. وتقسيم السودان إلى دولتين: زنجية.. وعربية - وتقسيم لبنان إلى خمس دويلات: مسيحية.. وشيعية.. وسنية.. ودرزية.. وعلوية - وتقسيم مصر إلى دولتين: إسلامية.. وقبطية.. وكذلك بقية أنحاء العالم العربى والإسلامى -من باكستان إلى المغرب- وذلك «ليصبح العالم الإسلامى - وفق تعبيره- «برجا ورقيا، ومجتمعات فسيفسائية - مجتمعات الموزايك».. ثم قال:

«ويرى الإسرائيليون: أن جميع هذه الكيانات سوف تشلها خلافات لا انتهاء لها. ونظرا لأن كل كيان من هذه الكيانات سيكون أضعف من إسرائيل، فإن إسرائيل ستضمن تفوقها لمدة نصف قرن على الأقل» ^(٢)

ولقد تحالفت الإمبريالية الصليبية مع الصهيونية اليهودية على تنفيذ هذا التخطيط..

(١) دكتور محمد عمارة [فى فقه المواجهة بين الغرب والإسلام] ص ٢١ طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٣ م.

(٢) محمد السماك [الأقليات بين العروبة والإسلام] ص ١٣١، ١٣٣، ١٤٣ طبعة بيروت سنة ١٩٩٠ م.

● فتحدث «ديفيد بن جوريون» [١٨٨٦ - ١٩٧٣م] - أول رئيس وزراء للكيان الصهيوني - تحدث عن:

«ضرورة تثبيت وتقوية الميول الانعزالية للأقليات في العالم العربى وتحريك هذه الأقليات لتدمير المجتمعات المستقرة، وإذكاء النار فى مشاعر الأقليات المسيحية فى المنطقة، وتوجيهها نحو المطالبة بالاستقلال، والتحرر من الاضطهاد الإسلامى»!^(١)

● ونشرت المنظمة الصهيونية العالمية - فى مجلتها الفصلية «كيفونيم» - [الاتجاهات] - عدد ١٤ فبراير سنة ١٩٨٢م - «استراتيجية إسرائيل فى الثمانينيات».. وفيها تحدثت - بالتفصيل - عن تفتيت العالم العربى والإسلامى.. وركزت على ضرورة تفتيت مصر، قائلة: «إن تفتيتها هو مفتاح هذا التطور التاريخى.. فمتى تفتتت مصر تفتت الباقون»!.. ثم خلصت إلى:

«أنه فى العصر النووى لا يمكن بقاء إسرائيل إلا بمثل هذا التفكيك، ويجب من الآن فصاعدا بعثرة السكان، فهذا دافع استراتيجى، وإذا لم يحدث ذلك، فليس باستطاعتنا البقاء مهما كانت الحدود»!^(٢)

● وفى ٢٠ مايو سنة ١٩٩٢م عقدت بجامعة «بارايلان» الإسرائيلية، ندوة شارك فيها باحثون من إسرائيل ومن الأقليات فى العالم العربى.. وخلصت توصيات هذه الندوة إلى:

«أن هذه الأقليات.. هى شريكة لإسرائيل فى المصير، ولا بد من أن تقف مع إسرائيل فى مواجهة ضغط الإسلام والقومية العربية، أو تبدى استعدادا لمحاربتهما أو مقاومتهما، فهى حليف وقوة لإسرائيل»!^(٣)

(١) دكتور سعد الدين إبراهيم [الملل والنحل والأعراق] ص ٧٤٠ - ٧٤٨ طبعة القاهرة سنة ١٩٩٤م وهو ينقل عن «مذكرات شاريت»..

(٢) [الأقليات بين العروبة والإسلام] ص ١٤٠ - ١٤٤.

(٣) [ندوة الموقف الإسرائيلى من الجماعات الإثنية والطائفية فى العالم العربى] ص ٦-١٠، ٢٧. ترجمة الدار العربية للدراسات والنشر - طبعة القاهرة سنة ١٩٩٢م.. انظر وثائق هذه المخططات فى الملحق الثالث - فى نهاية هذا الكتاب -.

هكذا تم التخطيط لهذا «التطور النوعي .. والكمي» فى الغواية الاستعمارية - الصهيونية للأقليات الدينية .. والقومية .. والمذهبية، فى وطن العروبة وعالم الإسلام .. وتم الإعلان عن هذا التخطيط - فى الوثائق التى أشرنا إلى بعضها - وبدأت التطبيقات لهذا التخطيط على أرض الواقع متزامنة مع إنشاء الكيان الصهيونى على أرض فلسطين ..

● فالمارونية السياسية - التى اعتبرت نفسها امتدادا للغرب فى الشرق - قد تحركت متحالفة مع الصهيونية - حتى جرت لبنان إلى حرب أهلية دامت خمسة عشر عاما - [١٩٧٥ - ١٩٨٩] - حتى أصابها الإعياء! ..

● والملا مصطفى البرزاني (١٣٢١ - ١٣٩٩ هـ - ١٩٠٣ - ١٩٧٩ م) زار إسرائيل - سرا - فى ستينيات القرن العشرين - وكان مترجمه القيادى الكردى الدكتور محمود عثمان - .. فبدأت - بهذه الزيارة - علاقات التحالف بين النزعة الكردية الإقطاعية العلمانية وبين الصهيونية .. حتى جاء الغزو الأمريكى للعراق فى مارس سنة ٢٠٠٣ م - والذى تم بتحالف كردى - شيعى - صهيونى - ل يتم وضع المخطط الصليبي - الصهيونى لتفتيت العراق فى الممارسة والتطبيق .. وليتحول شمال العراق إلى قاعدة أمريكية صهيونية .. وليتخرج الطلاب الأكراد من المدارس والجامعات ولم يدرسوا حرفا واحدا من لغة القرآن الكريم! ..

● وفى السودان، قامت وتقوم بعثات التنصير بوضع هذا المخطط فى الممارسة والتطبيق، وذلك حتى يقوم جدار يسد الباب أمام طريق العروبة والإسلام إلى قلب إفريقيا! ..

● وفى المغرب العربى .. علت أصوات أمازيغية تعترض حتى على تسميته بالمغرب العربى! .. وترفض تسميته بالإسلامى! .. لأنها ترفض العربية .. وتفتح بلادها أمام التنصير! ..

● أما فى مصر - التى قال المخطط الصهيونى عنها: «إنها إذا تفتت تفتت الباقون .. وأن تفتيتها هو مفتاح هذا التطور التاريخى»^(١)! .. فلقد بدأت تتخلق على أرضها

(١) لقد اعترف رئيس المخابرات الإسرائيلية السابق «عاموس يادلين» بدور المخابرات الصهيونية فى صناعة الفتنة الطائفية بمصر منذ سنة ١٩٧٩ م - انظر صحيفة «المصرى اليوم» عدد ٢-١١-٢٠١٠.

- بالتزامن مع قيام إسرائيل- وفي إطار مجلة «مدارس الأحد» - القبطية- النزعات الطائفية والانعزلية والعنصرية، التي تسعى لإعادة رسم الخريطة، وتغيير الهوية، والعودة بعقارب الزمن أربعة عشر قرناً إلى الوراء!..

- فانقلاباً على الانتماء الحضارى العربى الإسلامى لمصر - الذى نص عليه دستور سنة ١٩٢٣م- باعتباره «العقد الاجتماعى» الذى اتفق عليه المسلمون والمسيحيون واليهود المصريون.. والذى دعا إليه وأكد عليه مكرم عبيد باشا.. انقلاباً على هذا الانتماء وهذه الهوية، تنشر الكتابات التى تنظر لمشروع المعلم يعقوب - اللعين.. فيكتب سلامة موسى [١٣٠٥ - ١٣٧٧هـ - ١٨٨٨-١٩٥٨م] قائلاً:

«أنا كافر بالشرق، مؤمن بالغرب.. وإذا كانت الرابطة الشرقية سخافة، فإن الرابطة الدينية وقاحة!.. ونحن نريد العامة لغة الهكسوس، لا العربية الفصحى، لغة التقاليد العربية والقرآن»^(١)

- ويكتب الدكتور لويس عوض [١٩١٥ - ١٩٨٩م].. فيصف اللغة العربية بأنها: «لغة دخيلة.. وميتة.. وأنها الأغلال التى يجب تحطيمها»^(٢).

كما يصف عروبة مصر- والعروبة بشكل عام - بأنها:

«عنصرية.. وفاشية.. وأسطورة من الأساطير»^(٣)

- ويكتب القمص «سرجيوس» [١٨٨٣ - ١٩٦٤م] - فى مجلة [المنازة] بتاريخ ١٢-٦-١٩٤٧م- يقول:

«إن أرض الإسلام هى الحجاز فقط، وليست البلاد التى يعيش فيها المسلمون»!

- وتتلور - فى إطار مجلة [مدارس الأحد] نزعة طائفية عنصرية، يقودها الناشط القبطى «نظير جيد»- الذى احترف الإثارة ضد الإسلام والمسلمين، وضد هوية مصر العربية الإسلامية.. حتى لقد ذهب إليه -والى جماعته- فى سنة ١٩٤٨م- وزير الصحة فى حكومة محمود فهمى النقراشى باشا [١٨٨٨ - ١٩٤٨م] - واسمه نجيب إسكندر باشا- قائلاً لهم -بصيغة الجمع-:

(١) سلامة موسى [اليوم والغد] ص ٥-٧، ٢٠٠، ٢٠١ طبعة القاهرة سنة ١٩٢٨م.

(٢) لويس عوض [تاريخ الفكر المصرى الحديث] ج ١ ص ١٨٣، ١٨٤، ١٨٦، ١٩٤، ١٩٧، ٢٠٩. طبعة دار الهلال - القاهرة سنة ١٩٦٩م.

(٣) [الأهرام] فى ٧، ٢٠، إبريل، ١١ مايو سنة ١٩٧٨م. و[السياسة الدولية] عدد أكتوبر سنة ١٩٧٨م.

«لحساب من تعملون؟! .. أنتم تهددون وحدة العنصرين»!

وتروج هذه الجماعة لدعوى أن المسلمين المصريين هم وافدون على مصر ..
فيكتب نظير جيد:

«إن المسلمين قد أتوا وسكنوا معنا في مصر»!^(١)

- ويعلن هذا التيار الطائفي العنصرى الانعزالى عن نفسه وعن توجهاته القومية والسياسية، فى شكل [جماعة الأمة القبطية]^(٢) التى تأسست فى أول شهر توت - رأس السنة الفرعونية سنة ١٦٦٩ ق - ١١ سبتمبر سنة ١٩٥٢م -
التي استقطبت خلال عام واحد ٩٢,٠٠٠ من شباب الأرثوذكس .. وفتحت - فى أقاليم مصر ومدنها - مدارس لتعليم اللغة القبطية بالمجان
والتي أعلنت عن «مشروع قومى» وليس مجرد مطالب دينية - وجاء فى ميثاقها:

«إن الأقباط يشكلون أمة .. ويطلبون حذف النص الدستورى الذى يقول إن الإسلام دين الدولة! .. وإن اللغة العربية هى لغتها! .. وذلك ليكون الدستور مصرياً .. لا عربياً ولا إسلامياً ..

وإن مصر كلها أرضنا التى سُلِّبت منا بواسطة العرب المسلمين منذ ١٤ قرناً .. وأنها سلالة الفراعنة .. وديانتنا هى المسيحية .. وسيكون دستورنا هو الإنجيل .. وتكون لغتنا الرسمية هى اللغة القبطية»!

ولقد كان لهذه الجماعة علمها وزيتها الخاصان بها .. وكان العلم يمثل صليبا منصوبا فى الإنجيل - ولم يكن هذا الصليب صليب الدين المسيحى .. وإنما كان رمزا فرعونيا يمثل مفتاح الحياة لتوت عنخ آمون؟! - .. كما كان لها نشيد تنشده فى جميع الاحتفالات والاجتماعات!!^(٣)

(١) نظير جيد - افتتاحية مجلة [مدارس الأحد] ص ١-٥ عدد يناير سنة ١٩٥٢م .

(٢) أول من استخدم مصطلح «الأمة القبطية» هو بونايرت - أثناء غزوه لمصر سنة ١٧٩٨م .. ثم استخدمه حبيب جرجس [١٨٧٦ - ١٩٥١م] أثناء الاحتلال الإنجليزى لمصر .. وكذلك المؤتمر القبطى سنة ١٩١١م .. ثم جعلته [جماعة الأمة القبطية] عنوانا لتنظيمها سنة ١٩٥٢م بعد قيام الكيان الصهيونى على أرض فلسطين .

(٣) دكتور سليم نجيب [الأقباط عبر التاريخ] ص ١٨٤ ، ١٨٥ . تقديم مجدى خليل طبعة دار الخيال - القاهرة سنة ٢٠٠١م .

فهو «مشروع قومي»، يتحدث عن لغة بديلة.. وعن أرض محتلة.. ويريد تغيير الخريطة والهوية - كما صنعت الصهيونية على أرض فلسطين! -.

ولقد حاولت هذه الجماعة فرض نزعتها العنصرية على قيادة الكنيسة يومئذ - الأنبا يوساب الثاني [١٩٤٦ - ١٩٥٦] م.. فلما رفض، اختطفوه من المقر البابوي وذهبوا به إلى دير صحراوي.. وأجبروه على التنازل عن البابوية!..

وعندما اعتقلت حكومة ثورة يوليو المجموعة التي قامت باختطاف البابا.. وحلت الجماعة في ٢٤ إبريل سنة ١٩٥٤ م.. دخلت قيادات أخرى من هذه الجماعة إلى الدير - وفي مقدمتهم «نظير جيد» - سالكة طريق الرهبنة - بدلا من الثورة - لتصل إلى قيادة الكنيسة في ١٤ نوفمبر سنة ١٩٧١ م.. لتحقيق «بالانتخاب» ذات المشروع الذي لم يتحقق سنة ١٩٥٤ م «بالانقلاب»!..

● ومنذ ذلك التاريخ - ١٤ نوفمبر سنة ١٩٧١ م - بدأ تفجير أحداث الفتنة الطائفية - على نحو غير مسبوق في تاريخ مصر.. وعلى نحو غير معروف في إطار الكنائس المصرية الأخرى.. فالمشروع «قومي» يمثل النزعة العنصرية التي تبلورت في إطار الأرثوذكسية المصرية منذ «المعلم يعقوب» اللعين.. وليس مشروعا لمطالب دينية مسيحية، ولذلك فلا وجود له في كنائس مصر الأخرى - إنجيلية كانت أو كاثوليكية أو أسقفية أو مارونية أو أرمنية.. إلخ.. إلخ.^(١).

● ومنذ ذلك التاريخ - أيضا - بدأ «الإعلان الفكري» عن أيديولوجية هذا المشروع: - الدعوة لاستبدال اللغة القبطية - التي لا علاقة لها بالمسيحية ولا بالإنجيل - باللغة العربية.. فيكتب الأنبا «غريغوريوس» [١٩١٩ - ٢٠٠٢ م] يقول:

«إن اللغة القبطية هي لغتنا.. وهي تراث الماضي، ورباط الحاضر، وهي من أعظم الدعائم التي يستند إليها كيان الشعب المسيحي.. وهي السور الذي يحميننا من المستعمر الدخيل»!^(٢) - هكذا كتب ثاني رجال الكنيسة.. أسقف البحث العلمي.. والتعليم.. والدراسات العليا!..

(١) انظر الكثير من وقائع هذه الفتنة الطائفية بكتابتنا [الفتنة الطائفية: متى.. وكيف.. ولماذا؟] طبعة مكتبة الشروق الدولية - القاهرة سنة ٢٠٠٩ م.

(٢) غريغوريوس - مقال «اللغة القبطية والألحان القبطية» - صحيفة [وطنى] في ٣٠-٧-٢٠٠٠ م.

- ويحاضر الأبنا توماس - عضو المجمع المقدس.. وأسقف القوصية - بصعيد مصر، يحاضر بمعهد «هديسون» الأمريكى - بواشنطن فى ١٨-٧-٢٠٠٨م فيقول عن المشروع العنصرى للكنيسة.. الذى يعلن أنه «مشروع قومى مختلف»:-

«إن الشخص القبطى يشعر بالإهانة إذا قلت له إنك عربى!..»

«وإن اللغة القبطية هى اللغة الأم لمصر»!..

«وإن الأقباط يعانون ويحاربون خطرى التعريب والأسلمة»!..

«وأنهم قد وجدوا ثقافتهم تموت، ووجدوا أنفسهم مسئولين عن حمل ثقافتهم والمحاربة من أجلها حتى يأتى الوقت الذى يحدث فيه انفتاح وتعود دولتنا لجذورها القبطية.. وحتى يأتى هذا الوقت، فإن الكنيسة.. تقوم بدور الحاضنة للحفاظ على هذا التراث القومى المختلف!».

«وأن المسلمين قد خانوا الأقباط منذ الاحتلال العربى لمصر»!!^(١).

هكذا أعلن هذا الأسقف - عضو المجمع المقدس- عن احتضان الكنيسة للمشروع القومى العنصرى لجماعة الأمة القبطية - وهو «مشروع قومى مختلف» - بل ومعادى- لهوية مصر العربية الإسلامية.. كما أعلن عن «محاربة الكنيسة من أجل تحقيق هذا المشروع، حتى يأتى الوقت الذى يحدث فيه الانفتاح وتعود مصر لجذورها القبطية.. وأفصح عن أن الأقباط يحاربون خطرى التعريب والأسلمة»!.. أى يحاربون الانتماء الحضارى لمصر..

ولما انتقد السياسى القبطى جمال أسعد عبد الملاك هذه المحاضرة.. هاجمه البابا شنودة ودافع عن هذه المحاضرة.. وعن صاحبها ووصفها بأنها «محاضرة تاريخية»!..

● وغير معهد الدراسات القبطية.. تحولت الكنائس إلى مدارس لتعليم اللغة القبطية.. ودعا عميد معهد الدراسات القبطية -الدكتور رسمى عبد الملك- إلى:

(١) انظر - فى نص هذه المحاضرة -صحف [المصرى اليوم] و[البديل] فى ٢٠ مايو سنة ٢٠٠٨م- وهى تنقل عن وكالة «أمريكان إن أريبك». وانظر كذلك ترجمة المحاضرة فى صحيفة [الدستور] بتاريخ ١٣-٨-٢٠٠٨م. وأيضاً ترجمة محمود الفرغونى لهذه المحاضرة على موقع «مصريون ضد التمييز الدينى» على شبكة المعلومات العالمية.

«أن يكون محو أمية الشعب المصرى باللغة القبطية، لا العربية!...».

وأعلن عن مخطط إحلال اللغة القبطية محل اللغة العربية.. وكيف أنه:

«يوجد فى كل كنيسة فصل لتعليم اللغة القبطية.. وعن فتح المجال لرسائل الماجستير والدكتوراه فى اللغة القبطية، ولعمل إحصائيات حول المتحدثين باللغة القبطية فى تعاملهم اليومي داخل المنزل.. وأكد وجود أعداد كبيرة تقبل على تعلم اللغة القبطية، وعائلات لا تتحدث فى منازلها إلا باللغة القبطية!»^(١).

● وعلى حين أجمع الشعب المصرى - فى أدبياته - على أنه جزء من الأمة العربية والحضارة الإسلامية - فإن الكنيسة الأرثوذكسية- خاصة، وبخلاف كنائس مصر الأخرى- تصر - فى أدبياتها- على استخدام عبارات:

«الشعب القبطى.. وشعب الكنيسة.. والأمة القبطية.. والشعب المسيحى!...».

ولقد سحبت الكنيسة «شعبها» هذا من المجتمع ومؤسساته.. وأعلنت فى مناسبات عدة رفضها الخضوع للقانون ولأحكام القضاء التى يخضع لها جميع المصريين!.. فمثلت -بذلك- دولة فوق الدولة- وليس فقط داخل الدولة!..

● وامتدادا لدعوى «نظير جيد» فى مجلة [مدارس الأحد] - فى يناير سنة ١٩٥٢م - أن المسلمين المصريين هم وافدون «جاءوا وسكنوا مع الأقباط فى مصر»!.. وهى الدعوى التى وضعتها [جماعة الأمة القبطية] فى ميثاقها عندما قالت: «إن مصر كلها أرضنا التى سُلِّبت منا بواسطة العرب المسلمين منذ ١٤ قرناً!.. امتدادا لهذه الدعوى.. توالى تصريحات الأساقفة -أعضاء المجمع المقدس- التى تردد وتؤكد هذه الدعوى - التى غدت جزءاً أصيلاً من ثقافة الكنيسة-..

- فالأنبا مرقس -المتحدث الرسمى باسم الكنيسة.. وعضو المجمع المقدس.. ورئيس لجنة الإعلام بهذا المجمع والذى يسمونه «وزير إعلام الكنيسة!- يعلن:

«إن مصر هى بلد الأقباط وهم أصحابها!»^(٢)

(١) صحيفة [الدستور] فى ٢-٧-٢٠٠٨م.

(٢) صحيفة [المصرى اليوم] فى ١٩-١-٢٠٠٧م.

- والأبنا بيشوى -سكرتير المجمع المقدس.. والرجل الثانى فى الكنيسة- يقول فى حوار مع صحيفة [المصرى اليوم]:

«إن الأقباط هم أصل البلد.. والمسلمون المصريون هم ضيوف حلوا علينا ونزلوا فى بلدنا!»^(١)

- ويؤكد الأبنا بستتى -عضو المجمع المقدس وأسقف حلوان- على ما ذهب إليه الأبنا بيشوى، ويقول: «إن ما قاله الأبنا بيشوى» من «أن المسلمين ضيوف على مصر» «وصف دقيق لوقائع تاريخية»!^(٢)



لقد كان سكان شبه الجزيرة العربية - عند الفتح الإسلامى لمصر والشرق- لا يتعدون المليون نسمة.. وكان سكان الدولة الإسلامية -التي أقامتها الفتوحات الإسلامية- يبلغون فى مصر والشام والعراق وفارس -٢٩, ٠٠٠, ٠٠٠- وإذا أضفنا إليهم سكان بلاد الشمال الإفريقى، بلغ سكان تلك الدولة نحو ٤٠, ٠٠٠, ٠٠٠ -^(٣) ولو أن كل عرب شبه الجزيرة -المليون- هاجروا وسكنوا مع الأربعين مليوناً لما غيروا شيئاً فى التركيبة السكانية لتلك الدولة..

ولقد كان سكان مصر - عند الفتح الإسلامى- يتوزعون -ديناً- بين:

١- الآريوسيين -وهم النصارى الموحدون- الذين يقولون -بعبارة الأسقف يوحنا النقيوسى-: «إن المسيح مخلوق».

٢- والوثنيين -الذين كانوا على الديانة المصرية القديمة -السابقة على المسيحية-

٣- والأرثوذكسيين -الذين كانوا يمثلون أقل من نصف سكان مصر..

٤- والكاثوليك -الرومان- الملكانيين -الذين غادروا مصر وكان عددهم ٣٠٠, ٠٠٠ مع الجيش الرومانى.. ولقد دخل الآريوسيون - أتباع

(١) صحيفة [المصرى اليوم] فى ١٥-٩-٢٠١٠م.

(٢) صحيفة [الدستور] فى ١٩-٩-٢٠١٠م.

(٣) فيليب فارج، يوسف كرناج [المسيحيون واليهود فى التاريخ الإسلامى العربى والتركى] ص ٢٥، ٤٤- ترجمة: بشير السباعى - طبعة دارسينا - القاهرة سنة ١٩٩٤م.

«آريوس» [٢٦٥ - ٣٦٦م] - والوثنيون فى الإسلام فور دخول الجيش الإسلامى إلى مصر، وحتى قبل فتح هذا الجيش للإسكندرية.. وبقي الأرثوذكس -الذين دافعوا عن عقيدتهم أمام الاضطهاد الرومانى- والذين حرر الفتح الإسلامى كنائسهم وأديرتهم وبطركهم «بنيامين» وحقق لهم «الأمان والحرية والطمأنينة»، بقوا على دينهم لفترات طويلة تحت سلطان الدولة الإسلامية.. بينما دخل فى الإسلام -فور بدء الفتح- أكثر من نصف سكان مصر -الذين كان تعدادهم يومئذ ٢,٥٠٠,٠٠٠^(١)- ولم يتعد تعداد الجيش الفاتح ٨,٠٠٠ جندي..

وهكذا، فالمسلمون المصريون هم فراعنة أسلموا.. وليسوا وافدين على الأرثوذكس!

● ولقد شهد العلامة الإنجليزى سيرتوماس آرنولد على:

«تحول كثير من هؤلاء القبط إلى الإسلام قبل أن يتم الفتح، حين كانت الإسكندرية -حاضرة مصر يومئذ- لا تزال تقاوم الفاتحين، وسار كثير من القبط على نهج إخوانهم بعد ذلك بسنين قليلة»^(٢).

● وشهد على هذه الحقيقة -أيضا- الأنبا موسى - أسقف الشباب بالكنيسة الأرثوذكسية وعضو المجمع المقدس - عندما قال:

«إنه ليس بيننا وبين إخواننا المسلمين فرق عرقى -«إثنى»-، لأننا مصريون، وأنجاسر وأقول: كلنا أقباط، بمعنى أنه يجرى فينا دم واحد من أيام الفراعنة، ووحدة المسألة العرقية تجعلنا متحدين مهما اختلفنا فى الدين»^(٣).

● ولهذه الحقيقة -حقيقة سبق أكثر من نصف سكان مصر، عند الفتح، للدخول فى الإسلام- كانت مصر أسرع البلاد المفتوحة دخولا فى الإسلام..

(١) فيليب فارغ، يوسف كبراج [المسيحيون واليهود فى التاريخ الإسلامى العربى والتركى] ص ٢٥، ٤٤- ترجمة: بشير السباعى - طبعة دارسينا - القاهرة سنة ١٩٩٤م.

(٢) [الدعوة إلى الإسلام] ص ١٢٣، ١٢٤.

(٣) [الملل والنحل والأعراق] ص ٥٢٩ - ٥٣٤.

فعلى حين لم يتعد عدد المسلمين فى رعية الدولة الإسلامية بعد قرن من الفتح ٢٠٪ من السكان .. وصلت نسبة المسلمين فى مصر:

- أكثر من ٥٠٪ - بعد نحو نصف قرن من الفتح - أى فى نهاية خلافة معاوية ابن أبى سفيان [٦٠هـ - ٦٨٠م].

- ٧٥٪ من السكان - بعد مرور قرابة قرنين على الفتح - فى نهاية حكم هارون الرشيد [١٩٣هـ - ٨٠٩م].

- ٨٠٪ من السكان - فى القرن التاسع الميلادى - أى بعد قرنين ونصف من الفتح^(١).

تلك هى حقائق التاريخ .. وحقائق الواقع التاريخى ، شهد بها الثقة من الأجانب ومن المصريين .. فالذين اختاروا الإسلام ديناً هم مصريون أصلاء .. والذين اختاروا العربية لغة هم مصريون أصلاء .. تلك هى الحقائق التاريخية ..

وتلك هى أكاذيب الذين سقطوا فى غواية الإمبريالية الصليبية والصهيونية اليهودية .. منذ بونابرت ويعقوب اللعين .. ومنذ المؤتمر القبطى سنة ١٩١١م .. وحتى انتعاش الطائفية والعنصرية لدى قطاعات من الأقليات بالتزامن مع نجاح المشروع الصهيونى على أرض فلسطين .



● كذلك امتدت بلوى الغواية الاستعمارية الإنجليزية إلى الأقلية الدرزية - فى الشام - فى ذات الوقت الذى امتدت فيه بلوى الغواية الاستعمارية الفرنسية إلى الأقلية المارونية - التى اعتبرتها فرنسا الصليبية ، منذ الملك الفرنسى الصليبي القديس «لويس التاسع» [١٢١٤ - ١٢٧٠م] - «جزءاً من الأمة الفرنسية»!!^(٢) ..

(١) [المسيحيون واليهود فى التاريخ الإسلامى العربى والتركي] ص ٢٥ ، ٤٦ ، ٤٧ .

(٢) [الأقليات بين العروبة والإسلام] ص ٧٤ - وهو ينقل عن «وثائق الباب العالى» المجلد الثالث - ص ١٠٠ . - ولقد تم الاتصال بين لويس التاسع - أثناء حملته الصليبية - وبين شمعون الثانى [١٢٤٥ - ١٢٧٥م] بطرك الموازنة بלבنا .

● امتدت الغواية الفرنسية إلى الأقلية المارونية، فكان الصدام الدموي بين الدروز والموارنة سنة ١٨٦٠م..

● وامتدت الغواية الاستعمارية الإنجليزية إلى الأقلية الآشورية - في العراق - فكانت المذبحة التي حدثت لهذه الأقلية سنة ١٩٣٣م..

● وامتدت أصابع هذه الغواية الاستعمارية الإنجليزية إلى الأقلية اليهودية بمدينة الخليل - في فلسطين - فكانت الأحداث التي وقعت سنة ١٩٢٩م..

● كما امتدت - من قبل - غواية - القيصرية الروسية - إلى الأرمن..

وفي مذكرة بعثت بها المفوضية البريطانية في بيروت إلى وزارة الخارجية الإنجليزية - بلندن - بتاريخ ٢٣ أكتوبر سنة ١٩٤٤م نقرأ «شهادة شاهد من أهلها» على دور هذه الغواية الاستعمارية في الفتن والمجازر التي كان وقودها أبناء هذه الأقليات.. نقرأ:

«إن كل مذبحة حدثت أيام العثمانيين كانت لها خلفيات سياسية، ولو جزئياً، فقد حاول الروس مساندة الأرمن واستغلالهم ضد السلطة - [العثمانية] - فأثاروا حفيظة الأتراك.

وساندت فرنسا الموارنة، فكان موقفها عاملاً في وقوع مجازر سنة ١٨٦٠م.

ومشاكل الآشوريين في العراق، التي وصلت إلى ذروتها بمذبحة سنة ١٩٣٣م، كانت - إلى حد ما - نتيجة تعنت الآشوريين - وخاصة «مارشمعون» - . لقد اتخذ الآشوريون هذا الموقف معتقدين أننا في النهاية سننجر إلى التدخل، وإلى بسط حمايتنا عليهم.

وفي فلسطين، حدثت مجزرة الخليل سنة ١٩٢٩م وغيرها من المجازر بسبب العامل الخارجي.

إن الاضطهاد الدموي غريب عن تاريخ السوريين، ومن الممكن أن يحصل هنا بعض التمييز والاضطهاد، إلا أن المجازر الكبرى كانت دائماً حصيلة التدخل الخارجي..»^(١)

(١) [الأقليات بين العروبة والإسلام]. ص ٧٩، ٨٠ - وهو ينقل عن وثائق وزارة الخارجية البريطانية F.O. 256.

ففى ظل النموذج الإسلامى -التنوع فى إطار وحدة الأمة- لم يحدث العنف الدموى -باعتراف المذكرة البريطانية الرسمية- بينما قاد الاختراق الاستعمارى والغواية الخارجية أبناء كل هذه الأقليات - والأرمن، والموارنة، والدروز، والآشوريين، واليهود إلى «المجازر الكبرى»!



لكن بلوى الغواية .. والخيانة ما كان لها أن تعم .. فسنة من سنن الله أن القوم -أى قوم- ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ [آل عمران: ١١٣] .. ولذلك ارتفعت أصوات الوعى الوطنى .. والقومى .. والحضارى -الأصوات التى فقهت تجربة الحضارة الإسلامية فى التنوع والتمايز - الدينى .. واللغوى .. والمذهبى - فى إطار الأمة الإسلامية، والأمية الإسلامية .. والتى رأت أن النزعات العرقية والطائفية، التى صدرها لنا الغرب، ثم رعاها، هى المسئولة عن هذا النشاط وهذا الشذوذ ..

● ارتفع صوت المفكر والسياسى الكردى الدكتور محمود عثمان، الذى قال:

«نحن الأكراد شعب أصيل، يرجع تاريخه إلى ٢٧٠٠ سنة إلى الوراء، يرجع أصله إلى جنوب القوقاز الجبلية، ذات الأصول الآرية، ولغته هندوأوربية، من عائلة اللغات الفارسية.. منذ أتى العرب المسلمون إلى وادى الرافدين، منذ أربعة عشر قرناً، اختلط تاريخنا وحضارتنا بتاريخهم وحضارتهم، وربط بيننا وإياهم الدين الإسلامى..

فمشكلتنا المعاصرة بدأت مع المشكلات المعاصرة لكل شعوب وقوميات المنطقة فى أواخر عهد الإمبراطورية العثمانية..

وأنا شخصياً- ومعظم القيادات الكردية - نؤمن بصراحة بأن تطورنا السياسى والاقتصادى والثقافى يمكن أن يتم بشكل أفضل فى إطار وحدة وطنية عراقية.. وفى إطار وحدة الأمة العربية..»^(١).

فالمشكلة بدأت مع الاستعمار والنزعات القومية العنصرية التى غذاها .. ولم يكن لها وجود إبان سيادة الصيغة الإسلامية -صيغة التنوع الثقافى واللغوى فى

(١) [الملل والنحل والأعراق] ص ٢٦٩، ٢٧٠.

إطار الأمة الواحدة - وهي الصيغة التي استمرت سائدة حتى أواخر الدولة العثمانية . .

والحل المفضل هو إحياء هذه الصيغة . . التنوع «في إطار وحدة الأمة العربية» . .

- وارتفع صوت المفكر والسياسي الماروني «جوزيف مغيزل» [١٩٢٤ - ١٩٩٥م]، الذي شخص مأزق «المارونية السياسية» فقال:

«إن المأزق السياسي والحضاري للموارنة هو أنهم لا يرون العرب المسلمين داخل وخارج لبنان على صورة الغرب الكاثوليكي، وما لم يتم مسح العرب المسلمين ليطباقوا صورة الغرب المسيحي فهم غير مقبولين تماما من الموارنة.. ولما كان مسح العرب المسلمين على هذه الصورة يكاد يكون مستحيلا فسيظل الموارنة على موقفهم.. وهذا المأزق الحضاري السياسي تحول خلال الحرب الأهلية إلى مأزق سياسي عسكري.. وقد حاولوا الخروج من المأزق بالتحالف مع الشيطان، أي إسرائيل»^(١)

- وارتفع صوت المفكر القومي - ابن الروم الأرثوذكس - ميشيل عفلق [١٣٢٨ - ١٤٠٩هـ - ١٩١٠ - ١٩٨٩م] فقال:

«لقد توجه الاستعمار إلى أبناء الأقليات يغذيههم بأفكاره الخاطئة.. ولقد أحدثت المدارس الأجنبية والمدارس التبشيرية - على امتداد قرن كامل - تشوها ثقافيا، بما نفثت من سموم في تلك الأوساط.. حتى خلقت تيارا انعزاليا ذا وعى وشعور منحرف، يزعم أنه غير عربي، ويسعى للتحالف مع الغرب ضد العروبة والإسلام..

ولقد أبعدت الفروق الطائفية قسما هاما من العرب عن روح بلادهم وتقاليدهم، وجعلتهم شبه غرباء في وطنهم، وأضعفت، بالنتيجة، مساهمتهم في الحركة القومية..

ونحن نريد أن تستيقظ في المسيحيين العرب قوميتهم يقظتها التامة، فيروا في الإسلام ثقافة قومية لهم، يجب أن يتشبعوا بها ويحبوها، لأنه متصل بطبعهم وتاريخهم، ولأنه الميدان الذي برهن العرب فيه عن كفاءتهم في تسامي الروح وخصب الفكر وقوة الأخلاق..

(١) [المل والنحل والأعراق] ٦٤١، ٦٤٢.

وسوف يعرف المسيحيون العرب، عندما تستيقظ فيهم قوميتهم يقظة تامة، ويسترجعون طبعهم الأصل، أن الإسلام هو لهم ثقافة قومية يجب أن يتشبعوا بها حتى يفهموها ويحبوها، فيحرصوا على الإسلام حرصهم على أئمن شيء في عروبتهم..

وإذا كان الواقع لا يزال بعيدا عن هذه الأمنية، فإن على الجيل الجديد من المسيحيين العرب مهمة تحقيقها بجرأة وتجرد، مضحين في سبيل ذلك بالكبرياء والمنافع، إذ لا شيء يعدل العروبة وشرف الانتساب إليها..

إنه لا يوجد عربى غير مسلم.. فالإسلام هو تاريخنا، هو بطولاتنا، وهو لغتنا، وفلسفتنا، ونظرتنا للكون.. إنه الثقافة القومية الموحدة للعرب على اختلاف أديانهم ومذاهبهم.. وبهذا المعنى لا يوجد عربى غير مسلم، إذا كان هذا العربى صادق العروبة، وإذا كان متجردا من الأهواء، ومتجردا من المصالح الذاتية..

ولئن كان عجبى شديدا للمسلم الذى لا يحب العرب، فعجبى أشد للعربى الذى لا يحب الإسلام..»^(١)

هكذا تحدث ميشيل عفلق -الذى دمرت الدبابات الأمريكية قبره، عندما اجتاحت بغداد إبان الغزو الأمريكى الصليبي- الصهيونى - الشيعى الصفوى فى مارس سنة ٢٠٠٣م..!!

● كذلك ارتفعت أصوات الانتماء الوطنى والقومى والحضارى فى صفوف الأقباط المصريين.. الذين رفضوا غواية الاستعمار، وحذروا من الوقوع فى شرك الطائفية والعنصرية والانعزالية..

● فقال الأنبا موسى - عضو المجمع المقدس فى الكنيسة الأرثوذكسية - وأسقف الشباب-:

«نحن كأقباط لا نشعر أننا أقلية، لأنه ليس بيننا وبين إخواننا المسلمين فرق عرقى -«إثنى»-، لأننا مصريون، وأتجاسر وأقول: كلنا أقباط، بمعنى أنه يجرى فينا دم واحد من أيام الفراعنة، ووحدة المسألة العرقية تجعلنا متحدين مهما اختلفنا.

(١) ميشيل عفلق [فى سبيل البعث] ص ١٧٣. طبعة بيروت سنة ١٩٧٤م. [فى سبيل البعث] -الكتابات السياسية الكاملة ج ٤ ص ١٧ وج ٣ ص ٣٣، ٢٦٩، ج ٥ ص ٦٨ - طبعة بغداد سنة ١٩٨٦، سنة ١٩٨٧، سنة ١٩٨٨م.

هناك طبعاً التمايز الدينى، لكن يظل الأقوى، والأوضح الوحدة العرقية.
ولا نشعر نحن الأقباط بشعور الأقلية البغيض الذى يعانى منه غيرنا.. نحن أقلية
عددية فقط، ولكن هذا لا يجعلنا نشعر أن هناك شرخاً بيننا وبين المسلمين..

من جهة الهوية العربية، نحن مصريون عرقاً، ولكن الثقافة الإسلامية هى السائدة
الآن.. كانت الثقافة القبطية هى السائدة قبل دخول الإسلام. وأى قبطى يحمل فى الكثير
من حديثه تعبيرات إسلامية، يتحدث بها ببساطة ودون شعور بأنها دخيلة، بل هى جزء
من مكوناته..

نحن نحيا العربية لأنها هويتنا الثقافية، ومقتنعون بالطبع بأن فكرة العروبة فكرة
سياسية واقتصادية وثقافية، بالإضافة لوحدة المصير المشترك.. والعلاقة بين الجذور
والعروبة علاقة تناصرية. هذه دوائر متداخلة..

تاريخنا أفضل من حاضرننا، حينما نذكر الأقباط أيام الدولة العثمانية كانوا مع
إخوانهم المصريين لهم دور مشترك فى عزل الوالى العثمانى ومجىء محمد على، وكان
جرجس الجوهري أحد قادة الأقباط، وكذلك إبراهيم الجوهري أخوه، وكثير من الأقباط
عملوا وشاركوا بشكل واضح فى الحياة السياسية فى عهد محمد على..

والأقباط دورهم بعد الثورة - سنة ١٩٥٢م - تقلص كجزء من التقلص الشامل فى
المشاركة بمصر، كانت هناك سلبية شاملة..

وأنا أعتقد أن الأقباط جزء مهم من نسيج الحياة المصرية، لقد انغمس المسيحيون فى
الحياة العملية.. فهم أطباء وصيادلة ومهندسون وغيرها من المهن، ونسبتهم أيضاً فى
رجال الأعمال مرتفعة أكثر من نسبتهم العديدة فى مصر..

نحن نرفض المسيحية السياسية.. لأن المسيح قال: «مملكى ليس بالعالم».. ولو
حدثت المسيحية السياسية تصبح انتكاسة على المسيحية، كما حدث فى العصور الوسطى
أيام كان البابوات هم الذين يدرسون الإمبراطور وينصبونه. هذه هى المسيحية السياسية
التي نرفضها، لأنها تختلف عن المسيحية..

مصر دائماً دولة مسلمة ومتدنية، ولكن بدون تطرف، ولو عشنا كمسلمين وأقباط
وفى إطار الصحوة الدينية المصحوبة بصحوة وطنية فسيكون المستقبل أكثر من مشرق.

نحن فى مصر نسيج واحد، وسعداء بذلك وهذه حماية استراتيجية لنا كأقباط. ونحن لسنا لبنان، ويستحيل أن «تلبّن» مصر. وتقسيم مصر فكرة مستحيلة، وغير مسيحية، ولو فكرنا فى ذلك معناه أننا نجهز أنفسنا للإبادة. وبعد، كيف أقيم فى أسبوط وأترك أديرة وادى النظرون؟ أو العكس؟! .. هذه فكرة غبية هذه فكرة صهيونية من أجل تفتيت مصر. وعندما شاهدت ما يحدث فى العراق، قلت: نجح الصهاينة، وأصبح العراق ثلاث دول.. فهذه الفكرة الصهيونية ليست قبطية..»^(١).

هكذا شهد الأنبا موسى على:

- أن المصريين جميعا - مسلمين ومسيحيين - نسيج عرقى واحد.. وأن المسلمين هم فراعنة اعتنقوا الإسلام، وليسوا وافدين على مصر من خارجها..
- وأن المصريين ثقافتهم إسلامية.. ودولتهم مسلمة - دون تطرف -..
- وأن الثقافة الإسلامية هى ثقافة المسيحيين أيضا..
- وأن العروبة -اللغوية.. والثقافية- هوية جامعة لكل المصريين على اختلاف دياناتهم..
- وعلى أن الطائفية والانعزالية فيها دمار الأقباط وإبادتهم.. وأن المسيحية السياسية غريبة عن المسيحية.. وخطر على المسيحيين..
- وأن الغوابة الاستعمارية بالطائفية والتفتيت للوطن هى فكرة صهيونية..
- وعلى درب الوعى الحضارى والقومى والوطنى، شهد المحامى القبطى «نبيل منير حبيب»:

«بأنه لا توجد حضارة قبطية، لأن للحضارة، -إن شئنا أن ندركها- مظهرين: (مادى ومعنوى)، والذي يبقى دائما هو المعنوى (أدب - تاريخ - فلسفة).

وهنا أستطيع أن أقول: إنه ليس هناك أدب قبطى، ولا فلسفة قبطية، ولا نُظْم سياسية قبطية. هناك تأثير روحانى، يونانى، أما المسألة القبطية فهى خليط من ذلك إضافة إلى تنصيرها العادات الفرعونية:

(١) [الملل والنحل والأعراق] ص ٥٢٩ - ٥٣٤.

مثلا ٢٩ كيهك - وهو الذى يقابل ٧ يناير - هو عيد ميلاد «حورس» والمسيح لم يولد فى ذلك التاريخ.

كذلك، فشكل «عمارة الكنيسة المصرية» هو شكل المعبد الفرعونى، ومن ثم فليس هناك حضارة قبطية.

والمسيحية المصرية مسيحية محلية، على عكس الإسلام المصرى فلديه بُعد عالمى..»^(١).

● وشهد الأنبا يوحنا قلته - نائب البطريرك الكاثوليكي بمصر - فقال :

«أوافق تماما على أن أكون مصرياً.. مسيحياً، تحت حضارة إسلامية..

أنا مسلم ثقافة مائة فى المائة..

أنا عضو فى الحضارة الإسلامية كما تعلمتها فى الجامعة المصرية.. تعلمت أن النبى ﷺ سمح لمسيحي اليمن أن يصلوا صلاة الفصح فى مسجد المدينة.. فإذا كانت الحضارة الإسلامية بهذه الصورة.. التى تجعل الدولة الإسلامية تحارب لتحرير الأسير المسيحى.. والذى تولى من قيمة الإنسان كخليفة عن الله فى الأرض.. فكلنا مسلمون حضارة وثقافة..

وإنه ليشرفى، وأفخر أننى مسيحي عربى، أعيش فى حضارة إسلامية.. وفى بلد إسلامى، وأساهم وأبنى، مع جميع المواطنين، هذه الحضارة الرائعة..»^(٢).

● وكتب الدكتور غالى شكرى [١٩٣٥ - ١٩٩٨م] يقول :

«إن الحضارة الإسلامية هى الانتماء الأساسى لأقباط مصر.. وعلى الشباب القبطى أن يدرك جيدا أن هذه الحضارة العربية الإسلامية هى حضارته الأساسية.. إنها الانتماء الأساسى لكافة المواطنين..

(١) [الملل والنحل والأعراق]. ص ٥٣٨ [ولقد شهد المفكر اليسارى القبطى «أبو سيف يوسف» بأن «الجماعة الإثنية - بمصر - واحدة تتكلم اللغة نفسها، ولها ثقافة عامة مشتركة.. وتشكل فى النهاية كيانا اجتماعيا واحدا..» [الأقليات بين العروبة والإسلام] ص ٩١-٩٣.

(٢) الأنبا يوحنا قلته - من حوار دار عقب محاضرة لى- فى جمهور من النخبة المسيحية، المسئلة لمختلف الطوائف - دعت إليها «اللجنة المصرية للعدالة والسلام» - عنوانها «أثر البعد الدينى فى الاشتراك فى العمل العام» - بفندق الحرية- بمصر الجديدة- بتاريخ ٩ نوفمبر سنة ١٩٩١م. انظر كتابنا [الإسلام والسياسة: الرد على شبهات العلمانيين] ص ١٣٦ - طبعة مكتبة الشروق الدولية سنة ٢٠٠٨م.

صحيح أن لدينا حضارات عديدة، من الفرعونية إلى اليوم، ولكن الحضارة العربية الإسلامية قد ورثت كل ما سبقها من حضارات، وأصبحت هي الانتماء الأساسى، والذي بدونَه يصبح المواطن فى ضياع..

إننا ننتمى - كمعرب من مصر - إلى الإسلام الحضارى والثقافى، وبدون هذا الانتماء نصبح فى ضياع مطلق.. وهذا الانتماء لا يتعارض مطلقاً مع العقيدة الدينية.. بالعكس.. لماذا؟ لأن الإسلام وحدّ العرب، وكان عاملاً توحيدياً للشعوب والقبائل والمذاهب والعقائد^(١).

● وشهد المفكر الحضارى البارز الدكتور أنور عبد الملك، فقال:

«إن أى إنسان عاقل يدرك أن مصر هى أقدم أمة وحضارة فى التاريخ قاطبة.. ومنذ الفتح العربى الإسلامى دخلنا بالتدريج فى إطار دائرة أسمىها - منذ خمسين عاماً - الدائرة العربية، ولكنها فى الواقع هى دائرة الحضارة الإسلامية التى تتمركز حول مبدأ واحد هو «التوحيد»، الذى يتفق بشكل مطلق مع خصوصية مصر. فالحياة العامة فى مصر بها قبول بالسليقة للتوحيد، ناتج من وحدة الأمة المصرية منذ ما يزيد على ثلاثة آلاف سنة، وبالتالي فالإطار الحضارى للإسلام يشمل المرحلة القبطية «أى المسيحية المصرية» كما أن لغتنا هى العربية، لغة القرآن..»^(٢).

● وشهد المفكر الحضارى، والمناضل القومى الدكتور رؤوف نظمى - [محبوب عمر] - على شمول المرجعية الإسلامية الواحدة، والموحدة، لكل الأمة فقال:

«الأمة مرجعيتها واحدة، وهى الإسلام، بما له من تراث وعقائد وأصول.. والأساس هو أن يكون للأمة مرجعية واحدة، فإذا كانت الأمة إسلامية فمرجعيتها الإسلام، وإذا كانت كونفوشيوسية، فمرجعيتها الكونفوشيوسية..

إن أغلبية الأمة مسلمون، والمطلوب هو توجيه الجهود للعمل مع الأغلبية التى لا تزال على مرجعيتها التاريخية على تراثها الحضارى، وعلى عقيدتها..

(١) صحيفة [الوفد] عدد ٢٨ رجب سنة ١٤١٣هـ ٢١ يناير سنة ١٩٩٣م.

(٢) صحيفة [أخبار الأدب] فى ٣٠-٤-٢٠٠٠م.

نحن لدينا دستور يقول: إن دين الدولة هو الإسلام، وكافة مواد القانون تكون في حدود الشريعة، والمطلوب فقط ترويع هذا الفهم لإطلاق طاقات الإبداع في المشروع الحضاري..

إذا كانت المرجعية الإسلامية هي مرجعية الجميع، تنتهي المشكلة. فالمطلوب أن يكون مشروعا حضاريا، من حضارتنا، وحضارتنا إسلامية، فالمطلوب أن يكون الإسلام المرجعية العامة للجميع...»^(١).

● وعلى حين خرجت الكنيسة على «العقد الاجتماعي» -الذي حدده الدستور- والذي ينص - كما قال المفكر الحضاري الدكتور رؤوف نظمي - على أن دين الدولة هو الإسلام.. ومبادئ الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع - وهي الهوية الإسلامية للدولة ومجتمعها عبر تاريخها الإسلامي.. وحيث جرّت هذه الكنيسة قطاعات كبيرة من رعيّتها أثناء التصويت على التعديلات الدستورية سنة ٢٠٠٥م، فأعلنت ودعت إلى إلغاء المادة الثانية من الدستور التي تنص على إسلامية التشريع والقانون - متحدية بذلك الدولة والأمة، والعقد الاجتماعي.. فإن صوت العقل والحكمة يأتي واضحا وحاسما من الكاتب صادق عزيز، الذي كتب يقول:

«إن مصر دولة إسلامية منذ دخلها الإسلام، ويومها كان المسلمون هم الأقلية، وكان الأقباط هم الأغلبية، ومع ذلك كانت إسلامية.

بل إن مصر في تاريخها لم تكن دولة «قبطية» حتى من قبل الإسلام، فهي تقع دائماً تحت الحكم الروماني أو البيزنطي والمقدوني، أما الحكم القبطي فلم نسمع عنه أبداً..

وفيما عدا الأحوال الشخصية فإن أحكام الشريعة الإسلامية لا تتعارض إطلاقاً مع المسيحية، وذلك لعدة أسباب أهمها:

١- أنه إذا كانت الدولة إسلامية، فالقوانين الوضعية يجب أن تكون إسلامية، وعلينا قبول ذلك، بل والترحيب به، عملاً بقول المسيح: «أعطو ما لقيصر لقيصر وما لله لله».

(١) مجلة [منبر الحوار] - بيروت - عدد خريف سنة ١٩٨٩م.

٢- أن أحكام الشريعة الإسلامية تنطبق فى كثير جدا من الأحوال مع شريعة العهد القديم، وهى ما جاء المسيح لا لينقضها.. بل ليكملها..

٣- أن المسيحية لم تأت بأحكام وقوانين وضعية، عملاً بقول المسيح: «مملكتى ليست فى هذا العالم». ومن ثم ترك للحكام، أو لقيصر وضع الأحكام الأرضية، وأمرنا بأن نعطى ما للحكام للحكام..»^(١).



هكذا.. وفى مواجهة الغواية الاستعمارية.. وشراك الخيانة التى نصبتها، والتى سقطت فيها قطاعات من أبناء الأقليات، الذين أرادوا الانقضاض على «العقد الاجتماعى» و«هوية العروبة والإسلام» للأمة.. ارتفعت أصوات العقلاء والحكماء بالرفض لهذه الغواية، والتفنيد لدعاوى الخيانة التى سقط البعض فى حبالها..

بل لقد كان ملفتا للنظر، وموطنا لأبلغ الدلالات أن تنحاز الأغلبية من أقباط مصر إلى خيار تطبيق الشريعة الإسلامية فى المنظومة القانونية المصرية - بما فى ذلك عقوبات الحدود-، ففى استطلاع للرأى العام بمصر حول تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية على جرائم الحدود، صوت ٦٣٪ من مسيحيى مصر بالموافقة على ذلك سنة ١٩٨٥م..^(٢).. فصادق جمهور العقلاء على موقف النخبة والصفوة من الحكماء..

وإذا كانت القطاعات التى خانت، عندما سقطت فى شراك الغواية الاستعمارية، قد تحصنت بالكنيسة التى حاولت وتحاول الخروج عن رسالتها الروحية، والتحول إلى دولة داخل الدولة -وأحيانا فوق الدولة- ترفض تطبيق القوانين وأحكام القضاء.. وتحاول أن تفرض خياراتها على أغلبية الأمة - بل وأغلبية المسيحيين- وهو وضع غريب وعجيب وشاذ لم يسبق له نظير فى أى

(١) جمال بدوى [الفتنة الطائفية: جذورها وأسبابها. دراسة تاريخية وروية تحليلية] ص١٣٧-١٤١. طبعة القاهرة سنة ١٩٩٢م.

(٢) لقد أجرى هذا الاستطلاع «المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية» - ونشرت وقائعه بعنوان: [استطلاع الرأى العام فى مصر حول تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية على جرائم الحدود] ص٨٤- طبعة القاهرة سنة ١٩٨٥م.

مجتمع من المجتمعات - أن تسعى أقلية إلى فرض رؤاها على الأمة- فإن أصوات الحكماء - فى أوساط الكهنة والإكليروس- قد نبهت على خطورة خروج الكنيسة عن رسالتها المسيحية -خلاص الروح- وسعيها لتكرار النموذج الذى مارسته الكنيسة الكاثوليكية بأوروبا فى العصور الوسطى.. وهو الذى أدخل أوروبا عصور الظلمات، وأفضى إلى ردود أفعال مادية وعلمانية أصابت المسيحية ذاتها بالإعياء والتهميش والإفلاس!..

لقد ارتفعت أصوات عاقلة -من قيادات الكهنة والإكليروس- ممثلة فى اللاهوتى الأرثوذكسى الكبير الأب متى المسكين [١٩١٩ - ٢٠٠٦م].. الذى مثل القيادة الحكيمة للتيار اللاهوتى الداعى إلى وقوف الكنيسة عند حدودها، وترك ما لقيصر والدولة والمجتمع والسلطان.. والذى كتب فى هذا الموضوع الكتب والمقالات والدراسات.. وتحمل -هو وأتباعه- بسبب ذلك الاضطهاد.. وحتى الحرمان!!.. وإذا شئنا أن نقدم نموذجاً من هذه الكتابات الحكيمة والنفيسة، فإننا نقدم هذه السطور -التي يجب أن يعيها مسيحيو الشرق- حتى تعود قياداتهم الشاردة إلى مسيحيتها وإلى صوابها!.. لقد قال الخبر العظيم الأب متى المسكين:

«إن الخطيئة هى مدخل المسيحية إلى الإنسان.. وإن المسيح لم يهتم أبداً كيف يرتب حياة الخاطئ لما يتوب، أو يشرع قوانين مدنية.. المسيح لم يعد الخطاة التائبين بشيء من ملك هذا العالم، بل ثبت قلب التائب نحو ملك السماء.. ملكوت الله ليس ملكوتاً زمنياً، فلا تترقب مجيئه عبر الزمان..

لم يجمع السيد قط ولم يخلط أبداً بين مملكة الله ومملكة هذا الدهر. نقرأ عنه أنه «لما أرادوا أن يختطفوه ويجعلوه ملكاً انصرف وحده» -يوحنا ٦: ١٥-..

التوبة شغل الكنيسة الشاغل لأنها رسالتها.. فإذا رفعنا المناذرة بالتوبة من الكنيسة لا يتبقى لها عمل آخر.. وخارجاً عن التوبة لا يوجد عمل ولا خدمة داخل الكنيسة وخارجها..

ومحاولة الكنيسة الاهتمام بالأمور الزمنية باسم المسيح هو بمثابة تنصيب المسيح ملكاً على الأرض.

ومحاولة تقوية سلطان الكنيسة الزمنى، والمطالبة بحقوق للجماعة هو رجعة لإقامة ملك المسيا كما يحلم به اليهود..

إن أخطر عدو يهدد كيان المسيحية بالانحلال هو أن يهتم الكارزون فى الكنيسة بموضوع آخر غير «خطيئة الإنسان»، فيتركوا عنهم دعوة المسيح للخطاة التى كانت مهمته الأولى، والعظمى، وينشغلوا بالإنسان من جهة حياته الاجتماعية، هذا ليس خروجاً عن المسيحية فحسب، ولكنه مقاومة..

إن المسيحية تتعرض فى هذه الأيام لنفس المحنة التى تعرضت لها على أيدي [الفريسيين] والكنيسة تواجه نفس الضربة، لأن بعض الكارزين يحاولون الآن الخروج بالمسيحية عن موضوعها بسبب انعدام قدرتهم على الكرازة بالتوبة لتجديد الإنسان وخلصه، وإن الخسارة التى ستجنيها الكنيسة من جراء ضم مواضيع جديدة للكرازة سوف تنتهى أخيراً بانطفاء سراج المناداة بالتوبة لخلص الخطاة الذى ظل ينير الكنيسة ويضم لها كل يوم الذين يخلصون. الأمر الذى كان يخشاه بولس الرسول، والذى من أجله حارب وحوشاً فى أفسس، وجاهد وغلب، ثم تركه وديعة لتلميذه تيموثاوس ليحارب حروب الرب من أجله أيضاً، ويسلمه تراثاً للكنيسة..

ولكن الكارزين فى هذه الأيام فقدوا الطريق الموصل لقلب الإنسان، فأخذوا يدورون حوله إلى ما لا نهاية..

والمفتاح المقدس الذى سلمه الرب للكنيسة إلى قلب الخطاة ضاع، والمفتاح كان المناداة بالتوبة..

لقد يئس الخاطئ، وتبلدت نفسه، وكرهت روحه الحق.

إن المفتاح الكبير الذى سلمه الرب للكنيسة لتفتح به ملكوت السموات للخطاة أينما شاءت وكيفما شاءت، فقد ضاع المفتاح الكبير لما انشغلت الكنيسة بأموال الدنيا وأمالك العالم، وتلاها عن خلاص الخطاة.

نعم، لا يستطيع الإنسان أن يعبد رين، ولا أن يخدم سيدين..

إن أى محاولة للجمع بين ملكوت الله، كهدف اختصاص المسيحية، مع أهداف أخرى، مثل المطالبة بحقوق خاصة للكنيسة للاشتراك فى الحكم أو فى إدارة سياسة

الدولة أو المطالبة بحقوق خاصة لتملك شيء من أمجاد هذه الدنيا، أو السعى ليكون للكنيسة شيء من النفوذ أو السيادة، هذه المحاولة معناها الخروج عن هدف الاختصاص في المسيحية، الذى هو ملكوت الله..

كذلك كل محاولة لاستخدام السلطان، سواء كان سلطان الدين أو السلطان الزمنى، أو استخدام التهديد والوعيد، أو استخدام العقوبة أو المقاطعة لإجبار الخاطئ على التوبة، يعتبر هذا كله عمل اغتصاب وسلبا لمشيئات الناس واستعبادهم باسم الدين والكنيسة..

وسيان، من حيث الخطورة والدوافع المنحرفة، أن تطلب الكنيسة القوة من السلطان الزمنى، أو تحض على الاستهتار بقوة السلطان الزمنى، لأن فى الأول خروجاً عن اختصاص الكنيسة، وفقداناً لمصدر قوتها الروحية - كما أثبتنا.. وفى الثانية خروجاً على المنطق المسيحى ووصية الإنجيل، ووقوعاً فى دينونة الله، لأن الكتاب يقول: «المقاومون (للسلطان) يأخذون لأنفسهم دينونة» - رومية ١٣: ٢-..

وعلى الكنيسة أن تدع المواطن المسيحى يتحرك بحرية فى كل الاتجاهات كما يشاء وكما تمليه عليه تربيته ونشأته وثقافته، ويتحمل هو تبعه تحركه وتظل الكنيسة فوق كل هذه التحركات جميعاً تعمل فى اختصاصها لخلاص نفسه وإهداء أقدامه فى طريق ملكوت الله..

ويشهد التاريخ ويروى أنه كلما خرجت الكنيسة عن اختصاصات مسيحها، وبدأت تنزع إلى السلطان الزمنى، وتجيّش الجيوش باسم الصليب، وزاغت وراء أموال الأغنياء، وارتمت فى أحضان أصحاب النفوذ، وحاولت محاولات جدية وعنيفة للجمع بين السلطان الدينى والسلطان الزمنى، ودأبت على المطالبة بحقوق عنصرية وطائفية فشلت المسيحية فى تأدية رسالتها، ودب فيها الخصام والنزاع والوهن، وفقدت شكل مسيحها كمناذية بالتوبة، وضاع منها الحروف الضال.

ولما انشغلت بأمجاد الدنيا قُفل فى وجهها باب الملكوت، وصارت فى حاجة إلى من ينتشلها من ورطتها ويردها إلى حدود اختصاصاتها الأولى..»^(١).



(١) الأب متى المسكين [مقالات بين السياسة والدين] ص ٧-١٣، ١٨، ٢٧، ٢٨ - الطبعة الأولى سنة ١٩٧٧م. والطبعة الثانية سنة ١٩٨٠م - دار مجلة مرقس - مطبعة دير القديس أنبا مقار.

لقد كتب الحبر العظيم الأب متى المسكين هذا البيان النفيس والموعظة الحكيمة، عندما رأى الكنيسة الأرثوذكسية قد أصبحت صورة من [جماعة الأمة القبطية]: حزبا سياسيا.. ومؤسسة إقطاعية رأسمالية.. تركت رسالة المسيح وكنيسته.. واشتغلت بالدنيا وطلب القوة والسلطان.. فنبه على أن هذا هو إعلان فشل الكنيسة وإفلاسها فى رسالتها: هداية الخطاة، وخلاص أرواحهم بالتوبة، ثم تركهم إلى شأنهم فى أمورهم الحياتية والزمنية دون أى تدخل، أو حتى توجيه.. لقد أدان هذا الحبر العظيم:

- محاولات الكنيسة «الجمع بين السلطان الدينى والسلطان الزمنى»..

- والعمل على «الاستهتار بقوة السلطان الزمنى»..

- وأساليب «التهديد والوعيد».. و«المقاطعة.. والاحتجاج»..

- والسعى «للمطالبة بحقوق خاصة للكنيسة للاشتراك فى الحكم أو فى إدارة سياسة الدولة.. أو تملك شىء من أمجاد الدنيا»..

ولأن الكنيسة لم تستجب لهذه الحكمة التى أعلنها هذا الحبر العظيم، فلقد سقطت فى الهاوية التى حذرنا منها.

- فشلت فى أداء رسالتها الأولى والأخيرة: خلاص الأرواح.. وإشباع الأرواح.. وأحلت الطائفية والعنصرية والسلطان الزمنى محل إشباع الأرواح وخلصها.. فحدث جفاف روحى بين أبنائها - فى مناخ تتعاضد فيه الصحوة الإسلامية - فأخذ أبنائها يهربون منها إلى الإسلام.. ومن لم يسلم هرب إلى الكنيسة الإنجيلية.. وهرب آخرون - بالهجرة - للاندماج فى المجتمعات الغربية!!..

- وعجز القائمون عليها عن «الكراسة بالتوبة لتجديد الإنسان وخلصه» - كما قال الأب متى المسكين - لأن هؤلاء الكارزين قد انطلقوا من «أيديولوجية جماعة الأمة القبطية».. وليس من الرسالة التى حددها المسيح لكنيسته!!.. فهم طلاب دنيا وسلطة، لا علاقة لهم بمملكة السماء..

- ولذلك خرجت الكنيسة على المجتمع.. وعلى العقد الاجتماعى الذى ارتضاه.. وهو الهوية العربية الإسلامية - فأصبحت محاطة بقدر من الكراهية والتوتر - وحتى العنف - لم يسبق له مثيل فى التاريخ!!..

- وتمردت على سلطان القيصر -الدولة- حتى غدت منبوذة من الأمة ومن السلطان.. ولم يعد لها إلا الاستناد والاستقواء بالأعداء التاريخيين للشرق والشرقيين - الغرب الإمبريالى.. والصهيونية اليهودية.. فدخلت -بذلك- فى مأزق وطنى، بعد أن دخلت فى مأزق دينى!!..

● فهل يعيد عقلاء المسيحيين - وهم كثيرون.. لكنهم صامتون! - قراءة هذا البيان النفيس الذى كتبه الحبر العظيم والحكيم الأب متى المسكين، ونشره سنة ١٩٧٧م- عندما وضع انحراف الكنيسة عن مسارها المسيحى؟؟..

● وهل يعيدون قراءة حيثيات حكم محكمة القضاء الإدارى - مجلس الدولة - الذى أدان هذا المسلك لقيادة الكنيسة - فى القضية رقم ٩٣٤ لسنة ٣٦ قضائية - بتاريخ ١٢-٤-١٩٨٣م- والتي جاء فيها:

«.. وقد صور الطموح السياسى لقيادة الكنيسة أن تقيم الكنيسة من نفسها دولة داخل الدولة، تستأثر بأمور المسيحيين الدنيوية، وخرجوا بالكنيسة عن دورها السامى الذى حدده لها المسيح -عليه السلام- فى قوله: «رد ما لقيصر لقيصر وما لله لله».

كما سعى رأس الكنيسة إلى إثارة شعور الأقباط لحشدهم حوله، واستغل ذلك فى الضغط على سلطان الدولة..

واستعدى رأى العام العالمى على الحكومة المصرية، وأضر بسمعة البلاد.. وليس من شك فى أن هذه التصرفات كلها تنطوى على تحدّ لسلطة الدولة»!!^(١).

هل يعيد العقلاء -وهم كثيرون- قراءة هذه الحقائق؟؟.. وهل يرفعون أصواتهم بكلمة الحق.. والمصلحة؟؟.. فينقذون القطاعات التى ضلت سواء السبيل من الغواية الاستعمارية.. ومن السقوط فى شباك الأعداء.. أعداء المسيحيين والمسلمين الشرقيين على حد سواء..

إن الأمل لا يزال قائماً.. والرجاء لا يزال معقوداً على هؤلاء العقلاء الحكماء!.



(١) انظر حيثيات هذا الحكم فى: دكتور محمد مورو [يا أقباط مصر انتبهوا] ص ٢٢٠-٢٥٥ طبعة القاهرة سنة ١٩٩٨م.